مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء

namacenter

أوراق نماء

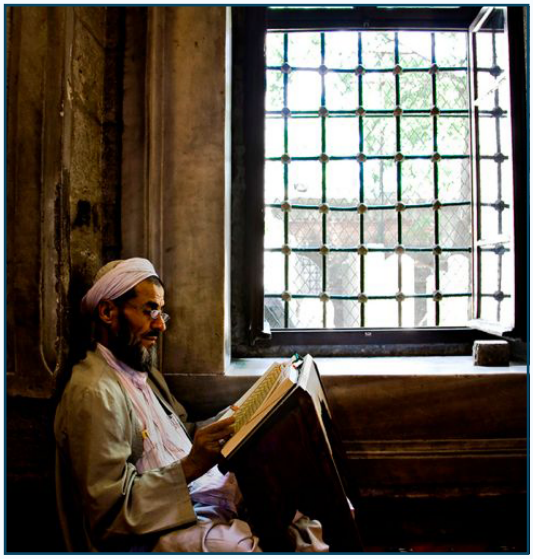

المقاصد القرآنية العليا ودورها في بناء العمران الإسلامي
عند الدكتور طه جابر العلواني
مفهوم الأمة نموذجاً

عماد الدين عشماوي

المقاصد القرآنية العليا ودورها في
بناء العمران الإسلامي عند الدكتور طه جابر العلواني

المقاصد القرآنية العليا ودورها في بناء العمران الإسلامي عند الدكتور طه جابر العلواني

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مفهوم الأمة نموذجًا	٧
مقدمة	٧
تمهيد: الحضارة والعمران والمقاصد في الفكر الإسلامي المعاصر	**١١**
مفهوم الحضارة في الغرب	١١
مفهوم الحضارة في الفكر الإسلامي المعاصر	١٢
مفهوم العمران في الفكر الإسلامي المعاصر	١٣
العمران مقصد قرآني	١٣
العمران والحضارة والمقاصد في الفكر الإسلامي الحديث	١٣
ما المقاصد؟	١٥
المقاصد في الأزمنة الحديثة	١٦
مقاصد الشريعة هي مقاصد القرآن	١٦
المبحث الأول: العلواني: من أصول الفقه إلىٰ مقاصد القرآن العليا	**١٧**
نبذة عن العلواني	١٧
من أصول الفقه إلىٰ مقاصد القرآن	١٨
بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا	١٨
بناء العقل المقاصدي	١٩
نحو عمران جديد	٢٠
ماهية المقاصد العليا الحاكمة	٢١
مصدر المقاصد العليا الحاكمة	٢١
المبحث الثاني: العلواني بين مفهومي الحضارة والعمران	**٢٣**
ما الحضارة؟	٢٣
من الحضارة إلىٰ العمران	٢٤

أزمة الحضارة الغربية ٢٥
منطلقات العمران القرآني ٢٦
المفاهيم لبنات البناء ٢٧
لسان القرآن ٢٧
ثلاثية القيم العليا الحاكمة القرآنية ٢٧
المبحث الثالث: شروط بناء العمران الحضاري القرآني ٢٩
أولًا: بناء منهجية القرآن المعرفية ٢٩
البداية من آية الشرعة والمنهاج ٣٠
خطوات بناء المنهجية المعرفية القرآنية ٣٠
أ- الرؤية الكونية التوحيدية المنطلقة من لسان القرآن ٣٠
ب- الجمع بين القراءتين ٣١
ج- الوحدة البنائية للقرآن ٣٢
وعندما تكتمل لنا معالم هذه المنهجية المعرفية القرآنية، سيعود القرآن إلىٰ مركز تفكيرنا ورؤيتنا، ومِن ثَمَّ نتمكن من ٣٢
المبحث الرابع: إعادة بناء الأمة من خلال المقاصد العليا للقرآن ومنهجية القرآن المعرفية . ٣٧
محاولات فاشلة للنهوض ٣٩
ما المخرج ٤٠
أولًا: إجراء دراسات تاريخية علىٰ هدي منهجية القرآن المعرفية تبين كيف وقع الخلل ٤١
ثانيًا: بناء الأمة، لا الدولة ٤٢
ثالثًا: منهج وخريطة بناء الأمة ٤٣
أولويات العمل لإعادة بناء الأمة ٤٦
١- بناء الوعي العربي ٤٦
٢- تحرير المفاهيم الإسلامية ٤٧
٣- تأسيس علم فقه الواقع ٤٨
٤- بناء الوعي الشامل ٤٨
أمور هامة يجب التنبه لها حتىٰ لا نقع في أخطاء تجارب إعادة بناء الأمة السابقة ٥٠
خاتمة ٥٣
نتائج الدراسة ٥٤
توصيات الدراسة ٥٤
ثبت المصادر والمراجع ٥٧
القرآن الكريم ٥٧
أولًا: المصادر ٥٧
ثانيًا: المراجع ٥٩
دوريات ٦٠

مفهوم الأمة نموذجًا

مُقَدِّمَة

القرآن المجيد، هو خاتم رسالات السماء إلىٰ أبناء آدم المستخلفين في الأرض. وهو الكتاب المصدق والمهيمن والحاكم علىٰ ما سبقه من كتب ورسالات، وعلىٰ ما لَحِقَهُ من مذاهب ونظم. وهو المنهج الملائم لحل مشكلات البشرية، عبر ثلاثية: النص الهادي، والتاريخ العبرة، والواقع المنظور، التي تمت بإخراج خير أمة للناس تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر وتؤمن بالله وتدعو إليه علىٰ بصيرة، لتحقيق عمران حضاري يرسخ أسس الحياة الطيبة لكل بني الإنسان. وقد أثبتت التجربة التاريخية أن تغييب هذا المنهج أو تحريفه، هو السبب في كل ما تعاني منه الأمة الإسلامية، والإنسانية عامة من مشكلات.

فللقرآن الكريم منهجيته المعرفية التي يجب علىٰ المسلمين اكتشافها واتباعها، عبر الانطلاق من تحديد «مقاصده العليا الحاكمة»؛ لأنها وحدها القادرة علىٰ إعادة القرآن إلىٰ مركز الدائرة في تفكير الإنسان المسلم، ومِن ثَمَّ عودة الأمة إلىٰ شهودها الحضاري.

وقد أدرك طه جابر العلواني رَحِمَهُ اللَّهُ أن اكتشاف المنهجية المعرفية القرآنية وقواعدها ومحدداتها وتطبيقاتها، انطلاقًا من هذه المقاصد العليا القرآنية، هو بداية تأسيس وعي قرآنيّ جديد يعيد بناء وتشكيل العقل المسلم بناءً معرفيًّا ومنهجيًّا، ويسهم في انطلاقه نحو بناء عمرانه الجديد.

وهذه الدراسة تحاول تتبع تطور رؤية الدكتور طه جابر العلواني، لدور المقاصد القرآنية في إعادة بناء عمراننا الإسلامي، من خلال إعادة بناء مفهوم الأمة.

إشكالية الدراسة:

تفترض الدراسة أن تأسيس عمران إسلامي جديد مشروط بإعادة بناء مفهوم الأمة، وهما مرتبطان باكتشاف المقاصد العليا للقرآن المجيد والمنهجية المعرفية القرآنية، وأن مشروع العلواني يحمل معالم كثيرة تبين ذلك.

الأسئلة البحثية:

ما معالم رؤية الفكر الإسلامي المعاصر، والعلواني خصوصًا للحضارة والعمران والمقاصد؟ وكيف تطورت؟ وهل يحمل مشروع العلواني القرآني معالم منهج واضح في بناء العمران؟ وكيف طبق هذا المنهج في رؤيته لإعادة بناء الأمة الإسلامية من جديد؟

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة تقديم وصف وتركيب ونقد لجوانب مشروع العلواني في إعادة بناء الأمة من خلال الانطلاق من المقاصد القرآنية العليا ومنهجية القرآن المعرفية.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من سعيه لخلق وعي بحثي بأهمية مقاصد القرآن العليا ومنهجيته المعرفية، يسهم في تطوير الدراسات والتطبيقات العملية الساعية لإعادة بناء الأمة وعمرانها.

مفاهيم ومصطلحات البحث:

المقاصد القرآنية العليا الحاكمة - الحضارة - العمران - المنهجية المعرفية القرآنية

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة منهجًا تحليليًّا تاريخيًا مركبًا، فهو تاريخي؛ لأنه يعالج التطور التاريخي لفكرة المقاصد في ارتباطها بالحضارة والعمران في فكرنا الإسلامي الحديث، وتحديدًا عند العلواني. وهو تحليلي؛ لأنه يتفحص ويحلل ويقيم أعماله في علاقتها بالعمران. وهو تركيبي؛ لأنه يحاول استخلاص معالم مشروع العلواني لإعادة بناء الأمة.

الدراسات السابقة:

في حدود علم الباحث لا توجد دراسة شاملة تحاول تتبع جهود معالم العلواني في إعادة بناء الأمة وعمرانها في ضوء المقاصد العليا الحاكمة والمنهجية المعرفية القرآنية.

رؤية البحث:

قُسِّمَ هذا البحث إلىٰ مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، هي:

مقدمة: توضح الهدف من البحث، وأهميته، ومنهجه، وحدوده ومفاهيمه، وتقسيماته.

تمهيد: الحضارة والعمران والمقاصد في الفكر الإسلامي المعاصر.

المبحث الأول: العلواني: من أصول الفقه إلىٰ مقاصد القرآن.

المبحث الثاني: العلواني بين الحضارة والعمران.

المبحث الثالث: شروط بناء العمران الحضاري القرآني.

المبحث الرابع: إعادة بناء الأمة من خلال المقاصد العليا للقرآن ومنهجية القرآن المعرفية.

خاتمة وخلاصة واستنتاجات: نقيم فيها معالم مشروع العلواني، ونطرح بعض الأسئلة الراهنة والمستقبلية حول الاستفادة منه في عمراننا الجديد.

تمهيد
الحضارة والعمران والمقاصد في الفكر الإسلامي المعاصر

الحضارة هي مجموع المعارف والتشريعات والنظم والعادات والآداب التي تمثل رؤية وتمثل أمة ما للعالم والأشياء، وتتألف الحضارة من «عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلىٰ فهم الحياة وازدهارها»[1].

مفهوم الحضارة في الغرب:

صاغ المفكرون الأوروبيون هذا المفهوم مع بداية استعمارهم للعالم القديم والجديد في القرن السادس عشر، ثم تطور في ستينيات القرن الثامن عشر، ليصف تطور الأوضاع الاجتماعية الناجمة عن تكوين نخبة متعلمة أوروبية مع بزوغ فجر الرأسمالية، مؤكدين أن الحضارة من صنع البشر، وهي تهدف إلىٰ تطوير وضعهم الاجتماعي مع ترقية قدراتهم الفكرية.

ففكرة الحضارة في الغرب تكمن في رحمها نظرية عن التاريخ، حاولت تفسير ما سُمِّيَ التغيرات التقدمية المطردة من وضع أولي أو أصلي (بدائي) إلىٰ وضع أكثر تقدمًا، عن طريق التقدم الأخلاقي والفكري والاجتماعي[2].

---

(١) توينبي، أرنولد. قصة الحضارة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، المجلد الأول، ص٣.

(٢) باترسون، توماس. الحضارة الغربية-الفكرة والتاريخ، ترجمة شوقي جلال، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤، ص٤٩.

فمفهوم الحضارة يروم غايتين للأوروبي، الأولىٰ: تتمثل في الطريقة التي يتم التفكير بها في «الآخر»؛ ما يسمح للمرء بتحديد ما إن كان طرف آخر ما حضارة أم دون ذلك، والثانية: تتمثل في السماح للأوروبي بفهم الكون، ومنحه أساسًا أخلاقيًا، وتقديم وصفات سلوكية ونموذجية له من أجل التحلي بسلوك مناسب في الحياة الاجتماعية[١]. وقد اعتبر معظم المفكرين والمؤرخين الغربيين أن تفوق الحضارة الغربية علىٰ باقي الحضارات أمر مفروغ منه، مؤكدين أن «نهوض الحضارة الغربية هو أهم ظاهرة تاريخية وحيدة بعد ظهور المسيح في النصف الثاني من الألفية الثانية»[٢].

مفهوم الحضارة في الفكر الإسلامي المعاصر:

لَم يرد لفظ الحضارة في القرآن الكريم بمعناه الاصطلاحي، وإنَّما وردت مشتقَّات (حضر) في عدَّة مواضع منه، بمعنىٰ الحضور والشهود؛ أي: ضد الغياب، لكن هناك مفاهيم أخرىٰ تشترك معه في الدلالة، كالأمَّة، والعمران، والاستِخْلاف، والشهود، وغيرها من المفاهيم، التي تشكِّل أُسُسًا ومرتكزاتٍ لبناء حضارة إنسانيَّة وإيمانيَّة متميِّزة[٣].

ومفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم التي أُخضِعَت لعملية متواصلة من التلبيس والتشويه وطمس الدلالات في الكتابات العربية، حيث لم تخرج دلالاته عن ذات الدلالات التي تطور إليها المفهوم في أوروبا، بل عكست بأمانة هذه الدلالات[٤].

---

(١) مازليش، بروس. الحضارة ومضامينها، ترجمة عبد النور خراقي، الكويت: المجلس الوطني للفنون والآداب (عالم المعرفة، عدد ٤١٢، مايو ٢٠١٤)، ص٥٢-٥٣.

(٢) فرجسون، نيال. الحضارة، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٤٥.

(٣) ملكاوي، فتحي. منظومة القيم: التوحيد والتزكية والعمران، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٣، ص١٢٨-١٣١.

(٤) راجع في ذلك كلًّا من:

عارف، نصر. الحضارة-الثقافة-المدنية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٤، ص ٤٠-٤٨.

النعيم، عبد الله محمد الأمين. الحضارة الإسلامية، الخرطوم: معهد إسلام المعرفة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢١- ٣٣.

وقد مر الفكر الإسلامي الحديث في تناوله للمفهوم بأطوار متعددة؛ من التقليد للغرب إلىٰ الدفاع عن الذات وفكر المقارنات والمقارنات، وصولًا إلىٰ العودة إلىٰ مفاهيم القرآن عن العمران، من خلال مدرسة التجديد المعاصرة.

مفهوم العمران في الفكر الإسلامي المعاصر:

العمران في اللسان العربي: نقيض الخراب، وهو اسم للبنيان، ولمن يعمر به المكان ويحسن حاله، ويأتي العمران في اللفظ القرآني بعدد من المعاني المتداخلة التي تمثل حقلًا دلاليًا، تتكامل دلالاته، فهو يعني: حالة الحياة، والإقامة، والسكنىٰ، والبناء في المكان، ويعني العمران المادي، والعمران الثقافي والفكري[1].

العمران مقصد قرآني:

إن المتأمل في طول القرآن وعرضه، يجده سجلًا لمسيرة البشرية الطويلة نحو لقاء ربها، ومرآة تعكس التاريخ وأحداثه، يندمج فيه الماضي بالحاضر بالمستقبل، مبينًا عوامل سقوط وصعود الأمم، وأسباب ذلك وعناصره من: الأفكار والشخصيات والمؤسسات والشعوب والمجتمعات. ويدعونا إلىٰ السير في الأرض لنتأمل كيف بدأ الخلق، وكيف يستمر العمران ويخرب، ويحثنا علىٰ اكتشاف القوىٰ الكامنة وراء الظواهر المتسببة في النهوض، وتلك المؤدية إلىٰ خراب العمران ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١٠، ١١]. فالعمران، مفهوم قرآني بامتياز، ومقصد عام من المقاصد القرآنية العليا، التي تحدد وجهة وقيمة أي عمل.

العمران والحضارة والمقاصد في الفكر الإسلامي الحديث:

دخل المسلمون القرن العشرين وهم في شر حال تصاب به أمة، بعد عزة ومنعة قرون عديدة؛ فخلافتهم قد سقطت، وأراضيهم اقتسمها غرماؤهم

(١) ملكاوي، منظومة القيم العليا، مرجع سابق، ص١٣١.

التاريخيون (الأوروبيون)، وانتشر الجهل وساد التقليد، وتخلت الأمة عن قوانينها وشريعتها لشريعة وضعية وافدة.

كانت الأزمة شاملة وعنيفة، وكان الانحطاط كبيرًا. ونهض الكثيرون أفرادًا وجماعات للتصدي لهذا كله عبر طرح فقه جديد للتمدن والحضارة، يأخذ في حسبانه سنن تطور المجتمعات الإنسانية تقدمًا أو انتكاسًا، وحاولوا تنبيه الغافلين إلىٰ قوانين التقدم والتمدن، مستعينين بالتراث والعلوم المعاصرة المستمدة من الغرب، وأحيوا فقه الاستخلاف القرآني، كمنطلق لمعاودة النهوض وبالتالي الشهود الحضاري من جديد.

وتراوحت تلك المحاولات في تنويعاتها المختلفة بين تحقيق التقدم علىٰ النمط الأوروبي أو الدعوات إلىٰ بناء مشروع حضاري مستقل، وما زالت هاتان المدرستان تتصارعان إلىٰ يومنا هذا، في حين تتراجع أمتنا حضاريًا بشكل غير مسبوق[1].

وقد فرضت هذه الأزمة الحضارية المستمرة علىٰ كثير من مفكرينا أن يوسعوا دائرة تفكيرهم لمعنىٰ الفقه الحضاري وأسسه ومرتكزاته، وازداد التواصل مع الفكر المقاصدي للشريعة الإسلامية، لعله يسعف المفكرين والعاملين في بحثهم عن تمدن إسلامي أصيل، ومنفتح علىٰ العالم، دون الوقوع في أسر تجارب فاشلة جديدة لا تتحملها الأمة.

ولينتقل الفكر الإسلامي من الحديث عن التمدن والحضارة في القرن الماضي إلىٰ التركيز علىٰ العمران كمفهوم قرآني أشمل وأكثر تعبيرًا عن طبيعة حضارتنا الإسلامية. وعاد المعاصرون من رجال الفكر والعمل للقرآن يستخلصون معنىٰ الحضارة منه، مؤكدين علىٰ معاني «الحضور والشهادة بجميع معانيها، التي ينتج عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي

---

(١) راجع في ذلك:

السيد، رضوان. «المدنية والحضارة في أفكار الإسلاميين المحدثين والمعاصرين»، مجلة التسامح، عدد ٢٦ (ربيع ١٤٣٠هـ)، ص١٦٤-١٧٢.

الحباشنة، صابر. «الدين والحضارة بين الإسلام والغرب»، مجلة التسامح، عدد ١٧ شتاء ٢٠٠٧م، ص٢٣ -٣٨.

يتعلق بوحدانية خالق هذا الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم في تسييره، ومن ثم دور الإنسان ورسالته في تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون في تعمير أرضه وتحسينها وتزجية معاش الناس فيها»[١].

مؤكدين أن «المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع»[٢].

فالعمران كما انتهت إليه مدرسة التجديد الإسلامي اليوم، هو «بصمة الحضارة علىٰ الروح قبل أن تكون آثارها في المساكن، وهو دوائر عدل وساحات براح وجسد اجتماعي يتمدد ويتجدد، إنه عبر وبصائر ونظر وفضائل . . . وهو تصور للحياة الطيبة، ونموذج للشهادة علىٰ العالمين»[٣].

ما المقاصد؟

المقاصد: جمع مقصد، والمراد بالمقصد هنا: المعنىٰ والهدف، والغرض الذي قصده الشارع، فهو مقصد له، وهو مقصود له أيضًا. ومقاصد الشريعة الإسلامية تعني: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد[٤].

لمحة تاريخية

ظهر التفكير في «المقاصد» في الفقه الإسلامي تحت عناوين متعددة مثل: «المصالح» أو «محاسن الإسلام» أو «محاسن الشريعة» أو «مناقب الإسلام»، أو «مكارم الشريعة»، ثم تطور الحديث عن المصالح الضرورية للعباد، وهي خمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمِلك. ثم تطور المصطلح إلىٰ «المقاصد» علىٰ يد كل من القرافي في «الفروق» والشاطبي في «الموافقات».

---

(١) عارف، نصر، الحضارة، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣، ص٤٥-٤٦.

(٣) رؤوف، هبة. نحو عمران جديد، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٥، ص٧٠.

(٤) الريسوني، أحمد. مقاصد المقاصد، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٣م، ص٧-١٦.

لتصير «المقاصد الشرعية» هي المظلة للإسلام كله، ولشريعته وأحكامها علىٰ الخصوص[١].

المقاصد في الأزمنة الحديثة

مع فجر نهضتنا الحديثة نجد كلًّا من الطهطاوي وخير الدين التونسي يتحدثان عن المصالح والمنافع العمومية والتنظيمات. ويكتشف التونسيون والإمام محمد عبده في نهايات القرن التاسع عشر؛ الشاطبي وموافقاته واعتصامه. ثم تتوالىٰ محاولات الكثيرين، مثل: رشيد رضا وابن عاشور وعلال الفاسي والغزالي وغيرهم لبيان مقاصد القرآن المجيد، لنجد مع الربع الأخير في القرن الماض، عودة كبيرة للاهتمام بعلم المقاصد، وتترىٰ الدراسات المقاصدية علىٰ يد بعض المفسرين والدارسين المعاصرين مع ريادة للمدرسة المغربية في هذا الشأن تأليفًا وتجديدًا[٢].

مقاصد الشريعة هي مقاصد القرآن:

مقاصد الشريعة: إنما هي أولًا وأخيرًا مقاصد القرآن الكريم ومقاصد السنة النبوية، فليس هناك مقاصد للشريعة سوىٰ مقاصد الكتاب والسنة، وكل ما هو خارج عن نصوص الكتاب والسنة وليس له نسب فيها، فليس من مقاصد الشريعة في شيء[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠-٣٧.

وراجع أيضًا: إمام، محمد كمال. «المقاصد قبل الشاطبي « علىٰ الرابط التالي:

http://www. alihyaa. ma/Article. aspx?C5798=

(٢) الريسوني، أحمد. «نشأة علم المقاصد»، مؤتمر مقاصد الشريعة الإسلامية، تحرير محمد سليم العوا، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦، ص١٨١-٢٣٠.

وراجع أيضًا:

الحسني، إسماعيل. مقاصد الشريعة والاجتهاد في المغرب الحديث، الرباط: الرابطة المحمدية للأبحاث، ٢٠١٠.

(٣) الريسوني، أحمد، مقاصد المقاصد، مرجع سابق، ص١١.

المبحث الأول

العلواني: من أصول الفقه إلى مقاصد القرآن العليا

نبذة عن العلواني:

تفتحت عينا العلواني علىٰ القرآن الكريم طفلًا في العراق، حيث انتظم في سلك التعليم الديني، وترسخت قناعاته بهذا الكتاب الكريم، وأنه كتاب الاستخلاف وكتاب الهداية ومنبع كل حكمة وخير، وبدأ يطرح التساؤلات علىٰ نفسه: لماذا إذن حال المسلمين بعيد عن هذا الكتاب؟ وكيف حدث هذا الفصام؟ ولِمَ حدث؟[1]

وحمل العلواني تساؤلاته إلىٰ القاهرة، حيث التحق بأزهرها الشريف، وليحصل علىٰ شهادة العالِمية، متخصصًا في علم أصول الفقه. ثم عاد إلىٰ العراق، ليخوض تجربة دعوية وسياسية، زادته وعيًا وارتباطًا بالسؤال الملح عن: سبب تخلف حال الأمة عن تصورات القرآن، وكيف نستطيع أن نوجد علاقة بين القرآن وبين الأمة، كالعلاقة التي أوجدها الرسول بين هذا الكتاب وبين الأمة، تسهم في إعادة بنائها من جديد[2].

---

(١) العلواني، زينب (حوار). تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين: مدارسة مع طه جابر العلواني، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٠-٢١.

(٢) راجع: عزت، محمد. حوار مع طه جابر العلواني، علىٰ موقع مؤسسة مؤمنون علىٰ الرابط التالي:
http://www. mominoun. com/articles/%D8%B7%D9%87-%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87-%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-2763

وبعد تجربة سياسية ودعوية مريرة في العراق، رحل مدرسًا للفقه وأصوله، في المملكة السعودية، ليجد ضالته في العلماء الكبار الذين كانوا يرافقونه في المملكة، حيث قرروا تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أمريكا، كمؤسسة تعمل علىٰ بلورة القضايا الفكرية الأساسية التي تهم الأمة، من أجل إعادة بناء العقل المسلم (منهجيته ومعارفه)؛ وليعمل ويرابط علىٰ هذا الثغر من عام ١٩٨٠ وحتىٰ وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ[١].

من أصول الفقه إلىٰ مقاصد القرآن:

كان العلواني في بدايات تفكيره في أزمة الأمة ينطلق من أمل كبير -تسنده أصوليته الراسخة- في تقديم «أصول الفقه» بوصفه «منهج بحث ومعرفة»، وبديلًا من «المنهج الوضعي» «... ولكنه بعد محاولات عديدة، أدرك أن اتخاذ «أصول الفقه» منهج بحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية»، لن يخرج أمتنا من أزمتها، ولن يخرج المنهج العلمي الوضعي من أزمته كذلك[٢].

بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا

ثم جاءت مرحلة البحث عن دور المقاصد في إحداث النقلة المعرفية في الفكر الإسلامي المعاصر، التي مر العلواني فيها بمرحلتين: المرحلة الأولىٰ هي دراسة المقاصد التقليديَّة منذ الغزالي وإمام الحرمين مرورًا بالشاطبي وابن عاشور وعلَّال الفاسي ومن تبعهم من المقاصديين، حيث تركزت اهتماماته علىٰ الدفاع عن الشريعة وإثبات صلاحيتها الدائمة، وكيفية تحقيق المقاصد الشرعية لعملية التجديد في الفقه والأصول ومناهج التراث.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) العلواني، طه جابر، منىٰ أبو الفضل. نحو إعادة بناء علوم الأمة، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٦.

وبعدها كانت المرحلة الثانية التي ركز فيها علىٰ أن مقاصد القرآن العليا الحاكمة وحدها، هي التي يمكن أن تقود أي تجديد حقيقي للأمة[١].

وقد أكد هذا التوجه لديه، خبرة محاولات الإصلاح والتجديد التي أتيحت له دراستها في تاريخنا الإسلامي، والتي كان الفشل في إصلاح أحوال الأمة من حظها جميعًا، بسبب عدم توصلها إلىٰ مقاصد القرآن العليا، ومنهجية القرآن المعرفية.

ولتتبلور معالم مشروعه في تدبر القرآن واكتشاف مقاصده العليا الحاكمة والمهيمنة علىٰ تراثنا ومناهج بحثنا، والمنشأة لأصول عالميتنا الثانية المرتقبة، وعمراننا الحضاري المنشود.

بناء العقل المقاصدي

انطلق العلواني في مشروعه القرآني لإعادة بناء الأمة وعمرانها من ضرورة بناء العقل المقاصدي التعليلي القادر علىٰ اكتشاف ضوابط الوحي، ومقاصد الشرع، وسنن الكون، وقوانين الخلق، لأداء مهمة الاستخلاف، والقيام بأمانة الابتلاء، وتحقيق العمران والشهود الحضاري[٢].

مؤكدًا حاجتنا إلىٰ إعادة تأسيس فقه المقاصد، ليتحول إلىٰ حاكم علىٰ الجزئيات قاضٍ عليها بعد أن كان يستمد وجوده منها[٣]، ليساعدنا علىٰ الوصول إلىٰ المقاصد العليا الحاكمة، التي هي: التوحيد والتزكية والعمران.

فالتركيز علىٰ «المقاصد الكلية العليا» للقرآن، لا «المقاصد الجزئية» والتفصيلية، والتعامل معها باعتبارها محددات منهاجية تضبط حركة الفكر

---

(١) راجع:

العلواني، طه جابر. «بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن العليا»، علىٰ الرابط التالي

http://alwani. org/%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A/

(٢) من تقديم طه جابر لكتاب: الحسني، إسماعيل. مرجع سابق، ص٥.

(٣) العلواني، طه جابر. مقاصد الشريعة، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠١م، ص١٢٤ -١٢٥.

الإسلامي كله، ووضع أصول قرآنية نبوية لفقهها والتأصيل لها، وبيان طرق الكشف عنها ومناهج تفعيلها لتلبي الحاجات، وتسد الثغرات، وتعصمه من الوقوع في الخطأ أو الانحراف، تقدم لأمتنا في عصرها هذا والعصور التي تليه، ما يلبي حاجات أمة تحتل موقع «القطبية» في هذا العالم[١].

فالمقاصد القرآنية العليا الحاكمة هي المقاصد الحقيقية، أما ما جرىٰ تداوله باسم «مقاصد الشريعة» حتىٰ الآن، فهي الحِكم التي ذكرها الأئمة للحدود والعقوبات الشرعية، وحاولوا الإجابة بها عن الشبهات التي أثيرت حول تلك الحدود، ولم تجرِ لها عملية تفعيل تجعلها منتجة فاعلة لإيجاد أحكام فقهية مستجدة.

وهذه المنظومة المقاصدية القرآنية العليا الحاكمة وحدها هي التي تؤسس «للفقه القرآني الأكبر»، المؤدي إلىٰ إعادة بناء عمراننا علىٰ أسس قرآنية[٢].

نحو عمران جديد:

ينطلق العلواني في سعيه لبيان طريقنا نحو عمران جديد، وتحقيق الشهود الحضاري، من ضرورة الكشف عن «المقاصد القرآنية العليا الحاكمة»[٣]. مؤكدًا أن هجر المسلمين للكتاب، كان هجرًا ممنهجًا له قواعده وتاريخه في تراثنا، نتج عنه تفكك العلاقة بين الأمة وبين كتابها. وفقدت الأمة «المنهاج»، فلم يعد في مقدورها تعويضه بأي نوع من أنواع المعرفة، وبأي وسيلة أخرىٰ، ومِن ثَمَّ تداعىٰ عمرانها وبناؤها الحضاري[٤].

ومِن ثَمَّ كان العمل علىٰ «إعادة بناء الأمة» يجب أن يبدأ من «إعادة القرآن إلىٰ مركز الدائرة» في تفكير الإنسان المسلم، واستخراج المحددات الأساسية للمنهجية المعرفية القرآنية منه، حتىٰ نستطيع إعادة صياغة سؤال أزمتنا الراهنة بشكل صحيح علىٰ القرآن ليعطينا -عبر «منهاجه الكوني»- الجوابَ الشافيَ

---

(١) العلواني، طه جابر. نحو إعادة بناء علوم الأمة، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(٢) العلواني، طه جابر. ابن رشد الفقيه الفيلسوف، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٨.

(٣) العلواني، طه جابر. نحو إعادة بناء علوم الأمة، مرجع سابق، ص١٥-١٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٨.

لأزماتنا وكيفية حلها، ومِن ثَمَّ استعادة عمراننا من جديد[1].

فالتعامل مع القرآن من المنطلقات ذاتها التي كان رسول الله ﷺ يتعامل معه بها، واستخراج هذه «المقاصد القرآنية العليا الحاكمة» باعتبارها منظومة مقاصدية كاملة، سيمكننا من إعادة بناء الأمة التي تبشر بتلك المقاصد، وتدعو إليها، فتكتمل خماسية البناء والعمران الحضاري المتمثلة في: التوحيد، والتزكية، والعمران، والأمة، والدعوة، ولتشكل -جميعها معًا- منهجًا متكاملًا، نعيد به ونصلح ونجدد أحوال أمتنا وعالمنا ومِن ثَمَّ بناء عمراننا القرآني.

ماهية المقاصد العليا الحاكمة:

تتمثل المقاصد والقيم القرآنيَّة العليا الحاكمة في: التوحيد والتزكية والعمران. التي هي كليات مطلقة قطعية. فالتوحيد حق الله تعالىٰ، والتزكية مؤهِّل الإنسان للاستخلاف والعمران، والعمران هو حق الكون المسخَّر وميدان فعل الإنسان ونشاطه.

مصدر المقاصد العليا الحاكمة:

تنحصر مصادر المقاصد القرآنية العليا الحاكمة في القرآن المجيد، فهو المصدر الأوحد لها، في كليته وإطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام[2].

(١) العلواني. تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، مرجع سابق، ص٢٣.

(٢) العلواني. مقاصد الشريعة، مرجع سابق، ص١٣٥.

المبحث الثاني
العلواني بين مفهومي الحضارة والعمران

عاش العلواني عمره ساعيًا إلىٰ بناء عمران أمته الحضارية، وتقديم نموذج عملي لحضارة إسلامية تسع الإنسانية برحابة وسعة ورحمة نموذجها وقدرته علىٰ تحقيق الحياة الطيبة لكل أبناء آدم.

ما الحضارة؟

بدأ العلواني رؤيته للحضارة والعمران بتبني تصور يؤكد أن الحضارة أشمل من العمران، فـ«قيام المجتمع -أي مجتمع- يستلزم نمطًا من القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار والسلوكيات، كذلك يستلزم أيضًا نمطًا من المبتكرات والأدوات والمؤسسات، والعمارة والفنون وطرق الإنتاج والمعايش، يعني أن المجتمع قد حقق نوعًا من العمران، أي تعمير الأرض وبناء نموذج إنساني عليها، لكن لا يعني الحضارة؛ إذ إن مجرد قيام العمران فقط في المجتمع، لا يعني أكثر من الوجود. ذلك أن الحضور يستلزم فوق العمران تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به. والحضارة، تتحقق من خلال الأبعاد التالية:

١- وجود نسق عَقدي، يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله سلبًا أو إيجابًا.

٢- وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع، يشكل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.

٣- وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنظم والعمارة والفنون وجميع الأبعاد المادية في الحياة.

٤- تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته وعالم أشيائه، وقواعد التعامل مع هذه المسخرات وقيمها.

٥- تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرىٰ، وأسس التعامل معها وقواعده، وأسلوب إقناعها بهذا النموذج، والهدف من ذلك الإقناع[١].

من الحضارة إلىٰ العمران:

تبدلت رؤية العلواني لمفهومي الحضارة والعمران مع تبلور مشروعه القرآني لإعادة بناء الأمة، فصار العمران هو أساس الحضارة، لا العكس، انطلاقًا من الرد إلىٰ القرآن، والاعتماد علىٰ لسانه في بناء واستخدام المفاهيم، مؤكدًا أن القرآن المجيد يقيم عمرانًا يرتقي بالمعنىٰ الإنساني ويجعل إنسانية الإنسان وكرامته محوره، يقوم علىٰ: التوحيد، والإيمان بوحدة البشر في الأصل والمنشأ والمصير والمآل، ووحدة الحق وثباته، وتفرد الباري جل شأنه بالإحاطة التامة الكاملة بامتلاك الحق والحقيقة، أما الإنسان فعليه أن يطلب الحق ويسعىٰ إليه بوسائل ومناهج الوعي والإدراك، وفي مقدمتها المنهجية المعرفية القرآنية، والإيمان بالخلافة-خلافة الإنسان في الكون وتسخير الكون له، فهو مؤتمن علىٰ الوجود كله، ليس من حقه أن يفرط في شيء أو أن يفسد شيئًا من هذا الكون الذي اوتمن عليه، فمهمته عمرانية[٢].

ومنهج القرآن في بناء الأمم يبدأ ببناء «الرؤية الكلية» القائمة علىٰ تعريف الإنسان بنفسه وبربه، وعلاقته به سبحانه، وتعريفه بالكون وموقعه فيه وعلاقته به، والحياة وماهيتها، والزمن وعلاقته به، والتاريخ والمصير والمعرفة وضرورتها له،

---

(١) العلواني، طه جابر. إصلاح الفكر الإسلامي، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥ ص١١٧-١١٨. وهو ينقل عن تعريف نصر عارف في كتابه: الحضارة، مرجع سبق ذكره.

(٢) العلواني، طه جابر. الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٦م، ص١٢.

والعمل علىٰ تمكين الإنسان من إزالة حيرته والجواب علىٰ «الأسئلة النهائية» التي قد تقلق عقله وضميره ووجدانه، وهذه الرؤية تجعله علىٰ بينة من ربه، ومعرفة بكل ما حوله وما يحيط به، لا يغمض عليه شيء مما يهمه ولا تلتبس به السبل، يعرف المستقيم منها ويعرف المنحرف، ويميز الخبيث من الطيب، فهذه الرؤية - حين تصح- هي الميزان الذي توزن به الأمور[1].

أزمة الحضارة الغربية:

يعتقد العلواني أن «المعارف الاجتماعية والإنسانية» التي انبثقت عن «الرؤية الكلية الأوروبية» معارف محدودة، منحصرة آفاقها قيمًا ومعاني ومدركات في دوائر المحسوسات، وفي إطار زماني ومكاني محدد يقود إلىٰ نهايات حتمية، وتبني شبكة من القيم التي أفرزتها «النظرية الاجتماعية الغربية» القائمة علىٰ «الصراع والنزاع، فالصراع والنزاع ليسا طارئين علىٰ هذا النسق المعرفي، بل هما عنصران أساسيان فيه، فإذا لم يوجد صراع ونزاع، تختفي حالة التوتر، فلا توجد الديناميكية المطلوبة -في نظرهم- لإحداث الفعل الحضاري» أو «إيجاد حالة التجدد فيه»[2].

ويجمل العلواني أزمة (الحضارة الغربية المعاصرة) في:

١- ضلالها عن الله وتوحيده في ذاته وفي صفاته وألوهيته وربوبيته.

٢- اللاهوت، بشقيه اليهودي المحرف التائه المثقل بالتراث الوثني البابلي والتراث المحرف، والنصراني المثقل بوثنية الإغريق والرومان وتحريفات المحرفين، لم يعد قادرًا علىٰ فعل شيء غير الوظائف الرخيصة التي حددها له النموذج العلماني؛ فالكنيسة والنادي في هذا النموذج شيء واحد، كل منهما يؤدي دورًا، ويقدم خدمة للجمهور.

٣- إن الحضارة المعاصرة تكاد تدمر كل المعابد: معابد اللاهوت، معابد الفلسفة، معابد العلم، معابد المنهج.

---

(١) العلواني، طه جابر. حوار مع القرآن، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٤م، ص ٦٠-٦١.

(٢) العلواني، طه جابر. «إسلامية المعرفة فكرة ومشروعًا»، في: حوارات مناهج التجديد، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٠ م، ص١٣٧.

٤- أزمة البشرية الإضافية أن القرآن بأيدي أمة جاهلة تعيش حالة (الاسترخاء الحضاري)[١].

فالعمران الصناعي الغربي قد تجاوز مرحلة العمران الطبيعي بعد أن مارس سيطرته علىٰ ظواهر الطبيعة باكتشافه قوانينَ تفاعلاتها وخصائصها، فتغير موقع الإنسان في العملية الإنتاجية من المهارة الحرفية اليدوية إلىٰ التأهيل العقلي العملي.

وهذا المتغير النوعي والكيفي في طبيعة العمران البشري أدىٰ إلىٰ مواضعات أخرىٰ في الفكر الإنساني والعلاقات الاجتماعية تواضع عليها المعاصرون بطريقة تختلف عن منطق العمران الطبيعي، إذ اختلفت نظرة الإنسان بناء علىٰ ذلك إلىٰ نفسه وإلىٰ علاقته بالكون الطبيعي وعلاقته بمجتمعه، وكذلك تغيرت نظرة الإنسان الغربي إلىٰ منظومة القيم والأخلاق التي تكونت في مرحلة العمران البشري الطبيعي. وشاع القول بنسبية الأخلاق وخضوعها للعوامل والمتغيرات الاقتصادية وخروجها من دائرة الثوابت[٢].

منطلقات العمران القرآني:

آمن العلواني بأن بناء «فقه حضاري عمراني» اليوم، قادر علىٰ بناء الحياة وتأسيس العمران وتقديم نماذج الحياة الطيبة للبشر، لن يتم إلا من خلال ابتغاء القرآن المجيد والعروج إلىٰ عليائه من جديد، فالقرآن رسولخالد ونبي مقيم، ورسالة عالمية ونظام منطقي كامل، ومرجع كوني للبشرية. والتجديد بكل أنواعه لا يمكن تحقيقه من دون الرجوع إليه؛ لأنه «مصدر الاجتهاد والتنظير والتجديد المنشىٰء والكاشف»، إضافة إلىٰ كونه مصدر «العقيدة والشريعة، وبناء العمران والحضارة»[٣].

---

(١) العلواني، طه جابر. «التوحيد ومبادىٰء المنهجية»، كتاب المنهجية الإسلامية، القاهرة: دار السلام، ٢٠١٠م، ص٤٠٩-٤١٠.

(٢) العلواني، طه جابر. أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، القاهرة: دار السلام، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٨٤-٨٥.

(٣) العلواني، نحو إعادة بناء علوم الأمة، مرجع سابق، ص١٨.

المفاهيم لبنات البناء:

وشدد العلواني علىٰ أن بداية التجديد تكون من خلال إعادة بناء مفاهيم الأمة وفق نسقها المعرفي. فالمفهوم -أي مفهوم- يمثل خلاصة الأفكار والنظريات والفلسفات المعرفية ونتائج خبرات وتجارب العمل في النسق المعرفي الذي يعود إليه وينتمي إلىٰ بنائه الفكري. فالمفاهيم مستودعات كبرىٰ للمعاني والدلالات تعكس كوامن فلسفة الأمة، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استنبطته ذاكرتها المعرفية.

إن أول ما تصاب به الأمم في أطوار تراجعها الفكري والمعرفي والثقافي مفاهيمها. ومن هنا كانت المفاهيم أول ما يجب الاتجاه إليه لبنائها عند شروع الأمة في إعادة بناء حضارتها[1].

لسان القرآن:

ويعتقد العلواني أن التوجه للقرآن المجيد لإعادة بناء مفاهيم الأمة هو السبيل لاستعادة رشدها المعرفي، ومِن ثَمَّ قدرتها علىٰ إعادة بناء ذاتها وتحقيق عمرانها وشهودها. وأن لسان القرآن هو وحده القادر علىٰ بيان معاني ودلالات أي مفهوم، لذا فإن من أهم واجبات عصرنا الراهن أن نبحث عن معاني المفاهيم في القرآن ذاته، من خلال بناء «قاموس قرآني مفاهيمي» يعتمد فيه علىٰ القرآن المجيد أساسًا[2].

ثلاثية القيم العليا الحاكمة القرآنية:

فالانطلاق من لسان القرآن ومفاهيمه عبر الجمع بين القراءتين -كما سنبين لاحقًا- أوصل العلواني -بعد الاستقراء التام للقرآن الكريم- إلىٰ أن المقاصد المحورية التي تدور حولها سوره وآياته و«القيم الحاكمة العليا»، وقاعدة الثوابت الراسخة التي تمكن الأمة المسلمة، بل والبشرية كلها من بناء عمران حضاري

---

(١) العلواني، طه جابر (تقديم). بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٨، ص٧-٨.

(٢) العلواني، طه جابر. لسان القرآن، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٩ وما بعدها.

يحقق الحياة الطيبة لأبناء آدم، يمكن حصرها في ثلاث، هي: التوحيد والتزكية والعمران[١].

فالتوحيد هو محور الرؤية الكلية القرآنية التي تقدم إجابات عن الأسئلة النهائية عن حياة الإنسان وخلقه وغاياته. وهو الذي يحرر الإنسان عقلًا ونفسًا وقلبًا ووجدانًا من الخرافة والأوهام وسائر الضغوط والتحيزات التي من شأنها أن تقلل الطاقات المعرفية الواعية لديه. وهو المحور الأساس لعالمي الغيب والشهادة. والفعل الإنساني أيًّا كان يتأثر بشكل مباشر به إيجابًا وسلبًا، مما يؤهله لممارسة التزكية أو التدسية في مجتمعه والعمران في الكون الذي استُخلف فيه[٢].

والتزكية: هي ما تؤهل الإنسان إلىٰ الفلاح والنجاح للوفاء بعهد الله تعالىٰ، والقيام بمهمة الاستخلاف، وحفظ وأداء الأمانة التي حملها الإنسان، والفوز والنجاح باختبار الابتلاء[٣].

والعمران: هو حق المسخَّرات التي سخَّرها الله لنا، فهذا الكون يستحق منَّا العمران؛ فنعمّره بالحق والعدل، ونقيم فيه حضارة لا تنفصل عنها القيم، تبني ولا تهدم، تحمي ولا تهدد، تقتصد ولا تبدد[٤].

---

(١) عزت، محمد حوار مع العلواني، مرجع سابق، علىٰ الرابط التالي:
http://www. mominoun. com/articles/%D8%B7%D9%87-%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87-%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-2763

(٢) راجع في ذلك: العلواني، التوحيد ومبادىء المنهجية، مرجع سابق، ص٤٣٠-٤٣٧
العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص٦٥-٩٠.

(٣) العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع السابق، ص١٠٩-١٢٠.

(٤) العلواني. بين مقاصد الشريعة مقاصد القرآن العليا، مرجع سابق علىٰ الرابط:
http://alwani. org/%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B9%D8%A9-%D9%88%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A/

المبحث الثالث
شروط بناء العمران الحضاري القرآني

يحدد العلواني شروطًا ضرورية لبناء عمران حضاري، ينطلق من المقاصد العليا للقرآن: التوحيد والتزكية والعمران، تتمثل في:

أولًا: بناء منهجية القرآن المعرفية

المنهجية هي أساس بنية أي نسق معرفي، والمقدمة الضرورية لتأسيس أي علم من العلوم، والشرط اللازم لسلامة التفكير ودقة البحث وإصابة النتائج والخلاصات المنهجية. والمنهجية ليست هي المنهج، وإنما هي كيفية بناء المناهج واختبارها وتشغيلها ونقضها وإعادة بنائها.

فالمنهجية هي في آن واحد وسيلة للحصول علىٰ المعارف، ومعيار للحكم علىٰ صدق المضمون المعرفي. أما وصفها بالقرآنية فنقصد به استرجاع الأصول التي يحدد بها القرآن فهم ظاهرة ما أو أمرًا ما، عبر تفكيك المفهوم وتحليله، ثم سحبه علىٰ الاستخدامات الشاملة له في الإطار نفسه[1].

والمنهجية المعرفية القرآنية ليست مجرد ضرورة أو حاجة فلسفية مجردة، لا، ولكنها ضرورة حياة لأمتنا وعالمنا، للخروج من أزماتها وأزماته المتوالية

---

(١) راجع بتوسع مفهوم المنهجية المعرفية القرآنية في:

حاج حمد، محمد أبو القاسم. منهجية القرآن المعرفية، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٢١-٢٢٤.

عارف، نصر (تحرير). قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م.

فؤاد، أحمد، وآخرون. المنهجية الإسلامية، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٠م.

المتشابكة. وهي أهم مقدمة «لبديل حضاري عالمي» حقيقي يبني عمرانًا حضاريًّا تقوم به أمة الدعوة لصالح الإنسانية كلها.

فبناء هذه المنهجية هو الذي سيمكن الأمة المسلمة والإنسانية كلها من الاهتداء بهداية الكتاب الكريم، وضبط عقولها ومعارفها ومسيرتها الثقافية والحضارية بضوابطه وموازينه، فتتحرك في ظل هديه وهيمنته، بمنهج قرآني يجعل حركتها منسجمة مع الغيب منفتحة علىٰ آفاقه، باتجاه عالمية الهدىٰ الخالص والدين الحق، المحتم ظهوره علىٰ الدين كله ولو كره الكافرون، وقصر الجامدون، وانحرف المعادون[1].

البداية من آية الشرعة والمنهاج:

يؤكد العلواني أن القرآن المجيد المكنون، كما اشتمل علىٰ الشريعة بتفاصيلها، فقد اشتمل علىٰ المنهج بمحدداته كلها، والله -تبارك وتعالىٰ- كما أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وفصل لنا الشريعة، فقد أودع كتابه «المنهاج» القادر علىٰ التصديق علىٰ سائر ما وصلت البشرية إليه من مناهج والهيمنة عليها. والآية الكريمة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، هي آية «الشرعة والمنهاج» التي يجب الانطلاق منها لصياغة منهجية القرآن المعرفية، وقراءة جميع الآيات التي أوردت شبكة من المفاهيم الفرعية والمصطلحات القرآنية الإلهية التي أحاطت بمفهوم «المنهاج» في ضوئها[2].

خطوات بناء المنهجية المعرفية القرآنية

أ- الرؤية الكونية التوحيدية المنطلقة من لسان القرآن:

الرؤية التوحيدية هي أساس منهجية القرآن المعرفية، التي تؤمن الخطوت السليمة لبناء المنهجية، لا بد لها أن تنطلق من لسان القرآن. فالتوحيد هو جوهر الرسالات كلها، وهو غاية الحق من الخلق، ويمثل منطلق العلاج الشافي لكل أمراض ومشكلات وأزمات الحياة والأحياء، بل والأشياء، فهو ينعكس علىٰ

(١) حاج حمد، محمد أبو القاسم، المرجع السابق، ص١٠ (من تقديم طه جابر للكتاب).

(٢) العلواني، طه جابر. معالم في المنهج القرآني، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٠م، ص ٦٧-٦٨.

الفكر فيقيمه، وعلىٰ التصور فينقيه، وعلىٰ الاعتقاد فيصححه ويطهره، وعلىٰ الوجدان فيحرره، وعلىٰ السلوك فيعدله، وعلىٰ الخلق فيحسنه، وعلىٰ الحياة فيجعلها طيبة، وعلىٰ نظم الحياة فيجعلها صالحة قائمة علىٰ الهدىٰ والحق والعدل والأمانة، وتساوي الخليقة ووحدتها، ووحدة الحقيقة ومناهجها[١].

ب- الجمع بين القراءتين

يؤكد القرآن المجيد أن هناك مصدرين للمعرفة يتضافران في توصيل الإنسان إلىٰ معارف الشهود الحضاري، والقيام بمهام العمران، والاستخلاف، ولا بد من الجمع بينهما، هما: القرآن المجيد والكون. فهما كتابان تجب قراءتهما معًا للخروج من إسار الأمية بكافة أشكالها ومعانيها، لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة، التي تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف، وأداء حق الأمانة، والقيام بمقتضيات العمران[٢].

فيتحقق أفضل فهم ممكن للنص القرآني والواقع الإنساني، ونستطيع الجمع بين القراءاتين في أي علم، ونحدد الوسائل التي يمكن تطويرها لتحقيق ذلك، ثم إعداد من يستطيع الجمع بين القراءتين، ويكون أقرب إلىٰ فهم غايات منهجية الخلق في التطور الإنساني، بما يجعله قادرًا علىٰ فهم الحضارات نفسها ونسق نموها وانهيارها، وكذلك في تشخيص مكونات النفوس الحاملة للرؤية التوحيدية، والمنوط بها القيام بمهام الاستخلاف والعمران[٣].

كيفية الجمع بين القراءتين:

المدخل الأساسي للجمع بين القراءتين، يبدأ باكتشاف العلاقة المنهجية بين القرآن من ناحية والوجود وحركته من ناحية أخرىٰ، فالجمع بين القراءتين هو جمع بين قراءة غيبية تنشأ في إطار الوحي باتجاه الكون، وقراءة موضوعية تنشأ في إطار الكون باتجاه الوحي. ولن تستقيم للإنسان رؤية فلسفية، يتزن فيها عنصري الغيب والشهادة دون اعتبار القراءتين معًا، فتجاوز القراءة الأولىٰ سيؤدي

---

(١) العلواني، المنهجية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٥٧-٣٥٨ بتصرف.

(٢) العلواني، طه جابر. الجمع بين القراءتين، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٠.

(٣) حاج حمد، محمد أبو القاسم. منهجية القرآن المعرفية، مرجع سابق، ص٢٥٢.

إلىٰ طرح رؤىٰ فلسفية وضعية منبتة الصلة بالله، وتجاوز القراءة الثانية؛ سيؤدي إلىٰ تعطيل الفعل الإنساني الحضاري[١].

ج- الوحدة البنائية للقرآن:

«الوحدة البنائية» للقرآن الكريم تمثل الركن الأساس في فهم القرآن والتعامل معه والانتفاع بهديه. لأن القرآن بناء محكم واحد، ونظم متفرد واحد، تسري فيه كله روح واحدة تحوله إلىٰ كائن حي. ووحدها القراءة الواعية التي تلتزم بالوحدة البنائية للقرآن، هي التي تساعد الإنسان المسلم في اكتشاف منهجية القرآن المعرفية[٢]. ومِن ثَمَّ يمكنه إعادة بناء الأمة وعمرانها من جديد.

ولهذا يشدد العلواني علىٰ أن فهم القرآن الكريم في «وحدته البنائية» وقراءته عبر «الجمع بين القراءتين» ومن خلال «لسان القرآن» ذاته، وإعادة قراءة القرآن الكريم وتدبره، بالاستعانة بما صح عن رسول الله ﷺ، وتمثل نهجه، تمكننا من استخراج المقاصد القرآنية وفهم الغايات النبوية، وبناء المنهجية المعرفية القرآنية التي تجعل القرآن العظيم المصدر الأساس لتشكيل الحياة المعاصرة فكريًا وثقافيًا وعمرانيًا وحضاريًا، ومِن ثَمَّ يمكننا صياغة مشكلاتنا بشكل صحيح وشامل في شكل أسئلة محددة، ونتجه بها إلىٰ القرآن المجيد بهذه المنهجية، حتىٰ يعطينا أجوبة شافية وحلولًا لمشكلاتنا. ويتمكن المسلم المعاصر من إعادة بناء الأمة والقيام بمهمة الاستخلاف والعمران[٣].

وعندما تكتمل لنا معالم هذه المنهجية المعرفية القرآنية، سيعود القرآن إلىٰ مركز تفكيرنا ورؤيتنا، ومِن ثَمَّ نتمكن من:

١- بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد، باعتباره مصدرًا للمنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني، فيعود هو وحده «النص»، وعدم

---

(١) العلواني، طه جابر. منهج العلواني في التجديد، ورقة غير منشورة للتعريف بطه العلواني، ضمن دورة تدبر القرآن مارس ٢٠١٥م، القاهرة، مركز الدراسات المعرفية، ص٤-٥.

(٢) العلواني، الوحدة البنائية، مرجع سابق، ص١٨.

(٣) راجع في ذلك:

https://www. noonpost. net/content/12390

إشراك أي تراث آخر معه فيه[1]. ومِن ثَمَّ يمكننا إعادة بناء وتركيب علوم القرآن، وتجاوز الموروث في هذا المجال. وكذلك، بناء «نظريَّة كاملة للتدبُّر السليم»، وبناء «نظريَّة كاملة» لتفسير القرآن بالقرآن، تسهم في بناء وتأسيس وعي قرآنيّ جديد، يعيد بناء وتشكيل العقل المسلم بناءً معرفيًّا ومنهجيًّا[2].

ومِن ثَمَّ، بناء رؤية نقدية شاملة للعلوم الإسلامية التي بُنيت حول الخطاب القرآني، فنعيد تجديد علم التوحيد وتصحيح خروجه عن المنهج القرآني، وعلىٰ التخلص من تراثه الجدلي، حتىٰ صار «علمًا للكلام»، وتطهيره مما علق به من آثار الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني، وإعادة بنائه علىٰ هدىٰ القرآن.

كما نستطيع تجديد علم التفسير، وتخليصه مما علق به من تراث بني إسرائيل وخرافتهم، أو حصر معانيه في شعر الجاهلية أو لغة العرب البدو تحديدًا، وكذلك الأمر مع قراءة التعضية، فالقرآن المجيد لا يقبل التعضية ولا القسمة ولا التفرقة ولا القراءة الحمارية.

٢- بناء منهج للتعامل مع السنة النبوية المطهرة ينطلق من علاقة القرآن النص المطلق بالسنة التي تمثل فقه تنزيل المطلق في إطار الزمان والمكان النسبيين. فالسنَّة الثابتة باعتبارها تطبيقًا واتِّباعًا للقرآن المجيد لا تستقل بالتشريع، بل يجب أن تكون دائرة حول القرآن المجيد خاضعة لهيمنته وتصديقه، فليست السنَّة قاضية أو ناسخة أو مخصصة للقرآن، لكنها تتكامل مع القرآن المجيد في جانبها الموحىٰ به بوصفها المصدر المبين علىٰ سبيل الإلزام. ولا يعني ذلك نفي السنن، فالسنة هي التطبيق وفيها النموذج ولا يمكن إهمالها، ولكن يجب أن يصدق القرآن عليها ويهيمن، وبالتالي التخلص من كثير من الإشكاليات والقضايا

---

(١) العلواني، طه جابر. مفاهيم محورية في المنهج والمنهاجية، القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٩م، ص٥٣.

(٢) العلواني، طه جابر. «نحو بناء علاقة سليمة بين القرآن وأمة القرآن»، علىٰ الرابط التالي

http://alwani. org/%D9%86%D8%AD%D9%88-%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9-%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D9%88%D8%A3%D9%85%D9%8E%D9%91%D8%A9/

الفقهية التي لا وجود لها في الكتاب، ولا أصل لها بالتالي في السنة، وقد تجد لها في السنة أصلًا، لكن فيه مقال ينبغي مناقشته وتوثيقه وهكذا[١].

٣- مراجعة تراثنا الإسلاميِّ -في معارفه المختلفة- مراجعة شاملة؛ لمعرفة مدىٰ اتصاله بالقرآن، وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية، تبدأ بمحاكمته وعرضه علىٰ كليَّات القرآن المجيد ومقاصده العليا الحاكمة «التوحيد والتزكية والعمران»، ومقايسته إلىٰ منهج التصديق والهيمنة القرآنيين، ومدىٰ انفراج الزاوية معه، والانفصال عنه، وما الذي يمكن رصده في التراث من مؤثِّرات في تلك العلاقة في الجانبين: الإيجابيِّ والسلبيِّ. دراسة، غير منفصلة عن إطاره الزماني والمكاني وإشكالياته الفكرية الخاصة به، ومِن ثَمَّ تأسيس علم للمراجعات يمكننا من بناء تراثنا علىٰ أصول جديدة[٢].

٤- إعادة فحص وتشكيل وبناء قواعد المناهج الإسلامية في مجالاتها المختلفة، علىٰ هدي المنهجية المعرفية القرآنية، وتعديلها بنورها وعلىٰ هدي منها. ليتضح النظام المعرفي الإسلامي القادر علىٰ الإجابة عن «الأسئلة الكلية النهائية» التي تؤرق الإنسان وتشغله. وبناء قدرة ذاتية علىٰ النقد المعرفي الذي يمكن من الاستيعاب والتجاوز بشكل منهجي منضبط، وفي الوقت نفسه يعطي القدرة علىٰ التوليد المعرفي المنهجي الذي يقوم علىٰ المعرفة المنهجية، لا علىٰ الإقناع والخطابة[٣].

٥- بناء منهج للتعامل مع التراث الإنساني المعاصر بعيدًا عن أساليب المقاربات أو المقارنات التي تنتهي بالرفض المطلق أو القبول المطلق بروح مستلبة تمامًا أو ميالة إلىٰ الانتقاء العشوائي. ومراجعة المؤثِّرات من التراث المعاصر الغربيِّ منه وسواه، وبخاصَّة تلك التي نزعت عن الوحي الصفة العلميَّة والمعرفيَّة، فهمَّشت سائر الكتب الدينيَّة وأبعدتها، فلم تعد في الإطار المعرفيِّ القائم من مصادر المعرفة المعاصرة[٤].

---

(١) العلواني، طه جابر. إشكالية التعامل مع السنة النبوية، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٤م، ص١٣٦-١٨٥.

(٢) العلواني، طه جابر. نحو التجديد والاجتهاد، القاهرة: دار تنوير، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢١-٥٧.

(٣) العلواني، التوحيد ومبادىٰء المنهجية، كتاب المنهجية، مرجع سابق، ص٤٢٥-٤٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص٤٢٩.

٦- صياغة «خطاب إسلاميّ جديد»، انطلاقًا من قراءة شاملة تجمع بين الوحي والكون. والعمل علىٰ تقديم القرآن المجيد للعقل السليم، تقديمًا يهيئ الأمَّة والعالم لإدراك «حقيقة القرآن»، باعتباره كتابًا كونيًّا معادلًا للكون وحركته، ذا وحدة بنائيَّة، ومحددات منهاجيَّة كثيرة، كفيلة بأن تجعل منه مركز الدائرة من جديد في عقولنا وقلوبنا ووجداننا وحياتنا كلِّها، بل وحياة العالم كلِّه. ومِن ثَمَّ نصل إلىٰ الغاية الثانية من الخلق بعد العبادة والمتمثلة في تشييد الحضارة وبناء العمران[1].

(١) العلواني. نحو إعادة بناء، مرجع سابق، ص١٥-١٦.

وراجع أيضًا عزت، محمد، حوار مع طه العلواني علىٰ موقع مؤسسة مؤمنون

http://www. mominoun. com/articles/%D8%B7%D9%87-%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87-%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-2763

المبحث الرابع
إعادة بناء الأمة من خلال المقاصد العليا للقرآن ومنهجية القرآن المعرفية

وقف العلواني علىٰ قمة جبل المجددين في الربع الأخير من القرن الماضي والعقد الأول من هذا القرن؛ أفرادًا ومؤسسات، وأطل من عليائه واستفاد من تراكمات اجتهاداتهم وطورها، ليعطي لنا خلاصة خبرته في إعادة بناء الأمة، أيمكن أن يعاد بناؤها بخصائصها الذاتية التي غرسها الله -تبارك وتعالىٰ- فيها في النشأة الأولىٰ؟ أم إنها ستأخذ شكلًا آخر، وخصائص أخرىٰ؟ مستعينًا بلسان القرآن، جامعًا بين القراءتين، من خلال منهجية القرآن المعرفية[1].

ومشددًا علىٰ أن الأديان كلها والمذاهب جميعها، وسائر التيارات الفلسفية والاجتماعية، ترسم تصورها وتحيطه بالخصائص والمقومات اللازمة له، ثم تبني عليه رؤيتها الكلية وتحدد أهدافها، والمناهج والسبل المؤدية إلىٰ تلك الأهداف، ثم تحدد العلاقات الفردية والاجتماعية علىٰ مختلف مستوياتها في ضوء ذلك كله، حتىٰ تبني عمرانها[2].

---

(١) راجع في ذلك:

إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي صدرت بمقدمات للدكتور طه جابر، وكتابات محمد أبو القاسم حاج حمد ومحمد الغزالي وغيرهم التي كانت عاملًا هامًّا في تطورات فكر العلواني.

العلواني. حوار مع القرآن، مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) العلواني. التوحيد ومبادىٰء المنهجية، في كتاب المنهجية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٦٤.

وليست أمتنا الإسلامية بدعًا في هذا المجال، فتجديد حياة الأمة والإنسانية، وبناء عمران حضاري يحقق الحياة الطيبة لأبناء آدم يبدأ من الرد إلىٰ الأمر الأول، إلىٰ القرآن المجيد؛ لأنه محور الرؤية الإسلامية للبناء والعمران.

فقد تشكلت في التاريخ أمة مسلمة بوحي إلهي ومنهج قرآني حتىٰ غدت خير أمة أخرجها الله للبشرية نموذجًا ومثالًا، تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتؤمن بالله. وبُنِيَتْ قيمها العليا الحاكمة: «التوحيد، التزكية، العمران» ومقاصدها الشرعية بمستوياتها المتعددة علىٰ هذا الوحي، المرتكز علىٰ دعائم الوفاء بالعقود، وحفظ العهود، والقيام بالعدل، وتحقيق القسط، وأداء الأمانات إلىٰ أهلها، والتسوية بين الناس، والقيام بواجب الاستخلاف[1].

فالرؤية الكلية لهذه الأمة والمستمدة من القرآن المجيد تقوم علىٰ أن مهمة البشرية كلها، هي مهمة واحدة هي «الاستخلاف» في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وحمل الأمانة فيها ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢][2].

وقد أقام الله تعالىٰ الابتلاء والتكليف وعمران الأرض علىٰ منطلق ودعامتين: فالمنطلق هو التوحيد الخالص، والدعامتان هما: التزكية أولًا؛ إذ بها يُتمكَّنُ من الوفاء بالعهد، والقيام بحق الأمانة، وأداء مهام الاستخلاف واجتياز اختبار الابتلاء. ثم العمران ثانيًا؛ لأن العمران حق الأرض التي كانت الملائكة تخشىٰ عليها من خلافة مَن يفسد فيها ويسفك الدماء فيعمها الخراب بدل العمران[3].

ما الذي حدث؟

قامت هذه الأمة بأمر الله وعليه فترة من الزمن، وأقامت العمران الإسلامي علىٰ ذلك، ثم طال عليها الأمد وأصابها ما أصاب الأحياء كلها ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ

(١) العلواني، طه جابر. العراق الحديث، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٥، ص٧٤.
(٢) المرجع السابق، ص٧٤.
(٣) العلواني. التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص٢٣.

نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فتراجعت حضارتها، ولم تواصل مسيرتها المتقدمة تلك، فلم تستطع بعد ذلك المحافظة علىٰ وحدتها، ولا البقاء في موقع «الخيرية» الذي احتلته، ولا الاستمرار في موقع الوسطية الذي اختيرت له، ولا المحافظة علىٰ منصب الشهادة الذي انتدبت له[١].

محاولات فاشلة للنهوض:

في منتصف القرن التاسع عشر، بدأت الحركات الإصلاحية الإسلامية تفكر في مدىٰ إمكان استعارة بعض البرامج والوسائل الإصلاحية من أمم أخرىٰ، فكان ذلك مؤشرًا إلىٰ بداية حال الفصام بين الأمة المسلمة، ومصدر تكوينها التاريخي وبنائها الحضاري متمثلًا في قرآنها، فبدأت تتغير الرؤية الكلية والقواعد العقدية، والمبادئ الأساسية، وأضفيت ثياب الشرعية علىٰ ما اُستعِيرَ من أمور لم يكن من السهل أن تكتسب الشرعية، ولا الفاعلية المرتقبة[٢].

وجاءت محاولات «التحديث والتنمية» التي قامت بها دول قومية وإقليمية مصطنعة بشكل عشوائي وغير طبيعي للإصلاح والنهوض، مفتعلة منبتة لا تزداد حالة الأمة عليها إلا سوءً، ولا يزداد أبناؤها إلا تفرقًا وانقسامًا وانشطارًا، وصارت عمليات «الافتئات» علىٰ الأمة ظاهرة طبيعية[٣].

ولم يعد للأمة وجود بوصفها «أمة»، بل أرزت إلىٰ ضمائر أفراد قلائل وفئات يسيرة من أولئك الأوفياء لتاريخ الأمة وتراثها الحريصين علىٰ إعادة بنائها، وجمع كلمتها، والنهوض بها، ومواجهة التحديات التي أدت إلىٰ تراجعها أملًا في وضعها علىٰ سبيل النهوض ثانية، لكن حجم التحديات واستبسال الأزمات كانا علىٰ الدوام يحولان دون تحقيق تلك الآمال. وهكذا وجدت بقايا الأمة نفسها في حالة ضياع نستطيع أن نجزم بأنها لم تمر بها من قبل[٤].

---

(١) العلواني، العراق الحديث، ص٧٥-٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص٧٧.

(٤) المرجع السابق، ص٧٧.

فقد تخلت الأمة عن التوحيد، وتنكرت للوحدة، وأقبلت علىٰ العدو وتنكرت للأهل، ففقدت القدرة علىٰ التأليف بين قلوبها. ولم تستطع الفكاك حتىٰ يومنا هذا من تلك الصراعات التي تطاولت واستمرت قرونًا كثيرة من غير أن تجد مَن يفكك التراث الطائفي الفرقي المريض الذي جعلها لا تخرج من أزمة إلا لتدخل في أخطر منها[1].

ولم تستطع التخلص من تلك الثقافة المريضة الواسعة والراسخة عن فرقة ناجية والجميع هالك، التي غُرست في نفوس العامة حتىٰ تحولت إلىٰ جزء هام من الدين، والممارسات الدينية اليومية، وكرسها تراث كلامي وفقهي كثير، ولسان مقال أو حال الجميع يقول: «من لا يؤمن بكفر مخالفينا فهو منهم» فماذا يمكن أن يتبقىٰ من مفهوم الأمة وقد بلغت هذا المستوىٰ؟[2]

ما المخرج:

كان التوجه إلىٰ القرآن الكريم بالسؤال عن كيفية إعادة بناء الأمة وتحقيق شهودها الحضاري وبناء عمرانها الإيماني المحقق لوحدتها وقوتها وحياتها الطيبة وشهادتها علىٰ العالمين، هو المخرج مما تمر به الأمة.

وقد أكد القرآن في إجابته المنطلقة من منهجيته المعرفية أنه لا نجاة للعرب ولا للمسلمين، ولا خلاص لهم إلا بإعادة بناء «الأمة» مفهومًا وواقعًا. ويبدأ ذلك بفهم أسباب تفرق الأمة وتحلل مفهومها عند المسلمين أفرادًا وجماعات، ثم إدراك «الخصائص الذاتية» للأمة، والعرب في قلبها[3] لأن هذا هو الذي يقود إلىٰ بناء فكر الأمة الحضاري وتأسيس «خطاب تجديدي إسلامي»، يمكن الأمة من استئناف حالة شهودها الحضاري العمراني، ويردها إلىٰ موقع الشهادة علىٰ الناس وفيهم، ويعيد تأهيلها لتحقيق الحضور العالمي اللازم لخيريتها ووسطيتها وشهادتها وعالمية رسالتها[4].

---

(١) المرجع السابق، ص٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩-٨١.

(٣) العلواني، حوار مع القرآن، مرجع سابق، ص٨١-٨٤.

(٤) العلواني، نحو إعادة بناء علوم الأمة، مرجع سابق، ص١٥-١٦.

ولهذا يقترح العلواني حسب رؤيته القرآنية المنطلقة من المقاصد العليا: التوحيد والتزكية والعمران، الخطوات التالية لإعادة بناء الأمة والدعوة في عصرنا الحالي:

أولًا: إجراء دراسات تاريخية علىٰ هدي منهجية القرآن المعرفية تبين كيف وقع الخلل

وذلك من خلال تقسيم تاريخ الأمة إلىٰ مراحل ثلاثة[1]:

المرحلة الأولىٰ: هي المرحلة الممتدة من عصر النبي ﷺ وإلىٰ عصر التدوين.

المرحلة الثانية: من عصر التدوين إلىٰ بداية مرحلة الاحتكاك بالغرب.

المرحلة الثالثة: وهي التي بدأت فيها الأمة محاولة اللحاق بالركب الغربي الأوروبي.

من خلال الإجابة علىٰ الأسئلة التالية[2]:

١- كيف بنىٰ الله -جل شأنه- هذه الأمة؟ وكيف صنعها علىٰ عينه؟ وما دعائم ذلك البناء؟ وما الخصائص الذاتية التي أودعها الله ذلك الكتاب، وأناط بها بقاءه واستمرار تقدمه ودوامه، أو غرس فيها قابليات التجدد وقابليات الانهيار، واستعدادات الاستقامة، وبذور الانحراف؟

٢- كيف يمكن أن نصحح العقيدة والرؤية الكلية القائمة عليها، بحيث نجعل منهما وسيلة ومنطلقًا لإيجاد وعي عقدي صادق لدىٰ المسلم المعاصر، يتسم بالحيوية والحياة والحركة، قادر علىٰ فهم التاريخ، وتحليل عناصره، واستيعاب دروسه، وتحويلها إلىٰ رافد يرفد الوعي، ويزيد في حركيته، نحو إعادة بناء الأمة؟

٣- كيف يمكننا الكشف عن سائر العناصر السلبية في فكر الأمة؟ وكيف نشأت؟ ومم نشأت؟ وما الذي أدت إليه؟ وكيف يمكن تطهير عقلية ونفسية الأمة

---

(١) العلواني، العراق، مرجع سابق، ص٨٣-٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤-٨٦.

من تلك الإصابات؟ وكيف يمكن إيجاد جهاز مناعة يمنع من إصابة العقلية والنفسية الإسلامية بهذه السلبيات في المستقبل؟ وكيف يمكن الكشف عن مبادئ ووسائل تكوين آلية عقلية ونفسية تعمل علىٰ تشكيل طاقة فكرية سليمة ومعطاءة تؤدي إلىٰ توليد ذاتي لعناصر المناعة والقوة، وإيجاد الأفكار السليمة باستمرار لئلا يكون هناك فراغ تمتد الأفكار السلبية فيه؟

٤- كيف ندرك فعل الزمن وصيرورته في تغيير مستويات القوة والتفوق، وأثر ذلك في تغيير الوسائل والإمكانات التي تمكن من توظيف مؤشرات الوحي وقوانين الكون وسننه، والطاقات الإنسانية بشكل علمي منهجي مترابط قادر علىٰ توليد عناصر القوة المناسبة للمستويات المختلفة، فلا يحدث خلل أو فراغ أو تعطيل في أي جانب؟

٥- كيف يمكن إدراك العلاقات الجدلية القائمة بين الغيب والإنسان والكون، التي من دونها يتعذر أن يتمكن العقل المسلم من القيام بمتطلبات النقد والمراجعة التي تقود الإنسان المسلم إلىٰ حالة التجدد والتجديد والتحقيق الشهود والعمران الحضاري؟

ثانيًا: بناء الأمة، لا الدولة:

يؤكد العلواني أن الأمة وعاء ومحضن للدولة والدعوة، وإذا وجدت «الأمة» فإنها تكون قادرة علىٰ إيجاد مؤسساتها وبناء قواعد نظامها، فالأمة هي التي توجد الدولة. و«الأمة»، لا الدولة، هي الصيغة الوحيدة التي تمكن من القيام بالوفاء بالعهد الإلهي، وأداء مهمة الاستخلاف، والقيام بحق الأمانة، والنجاح في اختبار الابتلاء[1].

وليست الدولة -كما ظن كثيرون- هي المدار الذي تدور الأمة حوله وعليه، انطلاقًا وبناء وتطورًا وامتدادًا وضمورًا وعلوًا وتراجعًا. فالدولة ما هي إلا متمم ومكمل لمقومات الأمة والبناء العمراني لها، وهي أداة للذود عن الأمة والدفاع

(١) العلواني، حوار مع القرآن، مرجع سابق، ص٦٣-٦٤.

عنها وتمثيلها وصيانة مصالحها ونظمها، لكنها لا تنشئ الأمة ولا يمكن أن تكون بديلًا منها، بل الأمة هي التي تنشئ الدولة[١].

ثالثًا: منهج وخريطة بناء الأمة:

١- إعادة بناء «التوحيد» الخالص في قلوب وضمائر أبناء الأمة[٢]، من خلال الانطلاق من المقاصد القرآنية العليا.

فالتوحيد: هو قمة مقاصد القرآن العليا الحاكمة، وهو الذي منح العمران الإسلامي هويته الإسلامية الخاصة على سائر المستويات، بحيث لم يستطع أي عمران آخر أن ينافس العمران الإسلامي فيما حققه في سائر المستويات خاصة الإنسانية منها، وتألق عمراننا وارتبط دائمًا بمدى انعكاس التوحيد عليه ارتفاعًا وانخفاضًا[٣].

والتوحيد هو الذي يبني للإنسان المنهج العلمي، والنظام المعرفي، ويحدد له كل ما يتعلق بالمعرفة، بدءًا بالمنهج والنموذج، وفلسفة المعرفة وتاريخها وتصنيفها، وانتهاءً بوظائف العلم والمعرفة في حياة الإنسان والمجتمع. ويجعل العلم وسيلة للتقوى والارتباط بالله تعالى، فلا يسخر العلم إلا فيما يرضيه تعالى وينفع الناس، ولا مجال لتسخير العلم ومنجزاته لإفساد الحياة، وتدمير البيئة والإنسان والحياة والأحياء وخيانة واجب الاستخلاف ومهام العمران[٤]. فتصبح الأسس والمنطلقات التي تقوم عليها (علوم الأمة ومعارفها وفنونها) في كل المجالات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالرؤية الكلية للأمة ونظرتها إلى الكون والإنسان والحياة وخالقها[٥].

وتتحول الأمة إلى جماعة ذات صفوف مستقيمة، ويصبح الالتزام بها وبقضاياها منبثقًا من القلب، منطلقًا من النفس قبل أن يكون محققًا بالنظام، ومن

---

(١) المرجع السابق، ص٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٥.

(٣) العلواني، التوحيد وبناء المنهجية، كتاب المنهجية الغسلامية، مرجع سابق، ص٤٠٩-٤١٠.

(٤) العلواني، التوحيد، ص٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص٨٣-٨٤.

هنا يمكننا إعادة بناء الأمة، لتصبح كيانًا حيويًا متينًا راسخ الدعائم لا يعتريه خلل ولا اعوجاج[١].

والتزكية: هي تزكية الأنفس وتطهير القلوب وتنقية الأدمغة. فالحضارة المعاصرة -علىٰ كل ما أسدته للإنسان- لم تستطع أن تقدم «أطرًا ووسائل تربوية إنسانية هادفة» يمكن أن نجد فيها ما يساعد الإنسان علىٰ تقويم نفسه وتهذيب سلوكه وتربية ذاته[٢]. وما أسمته الفلسفة قيمَ الحق وقيم الخير وقيم الجمال، كل هذه القيم لا يمكن أن يتحقق شيء منها في واقع الحياة من دون وجود إنسان التزكية، وبناء الشخصية المزكاة عقليًا ونفسيًا[٣].

ولهذا أعلن الإسلام منذ البداية عن مقاصده التربوية وأهدافه في التربية، وغاياته وقيمه الحاكمة. ووضع ذلك كله في مراتب يأخذ بعضها في عضد بعض حتىٰ تبلغ الغاية الأسمىٰ، ألا وهي: سعادة الإنسان في الدارين بشروطها وأركانها وضوابطها[٤].

فقد عني القرآن الكريم عناية خاصة ببناء ما يمكن تسميته بمنهج تربوي كامل، تأخذ كل حلقة فيه بعضد الأخرىٰ حتىٰ يبلغ الغاية ويصل إلىٰ المنتهىٰ في بناء عقلية الإنسان وشخصيته. وتحقيق وإيجاد «إنسان التزكية» القادر علىٰ تحقيق التوحيد، وإقامة العمران[٥].

العمران: فالبشر ما استخلفوا في هذه الأرض إلا ليعمروها. والعمران القرآني، يقوم علىٰ إعمار الكون وإحياء مواته، والاستفادة من كل ما أتاحه التسخير الإلهي من النعم الظاهرة والكامنة فيه، وجعل كل شيء فيه داخلًا في دائرة التسبيح لله سبحانه.

---

(١) العلواني، حوار مع القرآن، مرجع سابق، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) العلواني، التوحيد والتزكية والعمران، مرجع سابق، ص١١٣.

(٣) المرجع السابق، ص١١١-١١٢.

(٤) المرجع السابق، ص١١٤.

(٥) المرجع السابق، ص١١٩-١٢٠.

والعمران الحق هو: أن تكون القيم والأخلاق والأهداف والغايات التي خُلِقَ الخلق من أجلها حاضرة في هذا العمران. وإقامة عمران يرتقي بالمعنىٰ الإنساني، ويجعل إنسانية الإنسان وكرامته محور الاهتمام، ولا يُسخَّرُ الإنسان للكون ومادته، بل يُسخَّرُ الكون وما فيه للإنسان. فكل عمران حضارة وزيادة، ولكن ليست كل حضارة عمرانًا[1].

ويكون تحقيق ثلاثية التوحيد والتزكية والعمران واقعًا في حياة أبناء الأمة، عبر الخطوات التالية:

١- إعادة بناء مؤسسات إعادة بناء الأمة: التي تكون أولىٰ مهامها تفعيل المقاصد والقيم والخصائص القرآنية، وتحويلها من مدركات ومعلومات، إلىٰ حقائق في الواقع لإحداث تغيير جذري في التصورات والمدركات والمؤسسات التعليمية والإعلامية وسائر برامجها، لتوجد بدائل تعلم الأجيال مفهوم الأمة كما رسمه القرآن المجيد. والكشف عن كيفية ربط الأصول التكوينية للأمة بالعقيدة والعبادات والشعائر ونظم المعاملات، وجعلها منظومة متضافرة في إعادة البناء والحفظ لروح الأمة ولكيانها. وجعل مفهوم الأمة حقيقة نفسية وعقلية تعيش داخل شخصية الفرد، لا يستطيع أن يحيا حياة مستقرة، ما لم يرها في الواقع الاجتماعي والتاريخي كحقيقة واقعة[2].

٢- استخلاص منهج تنشئة وتربية وتكوين للشخصية المسلمة من القرآن، لإعادة بناء الأمة بـ«الفرد الأمة» و«الأسرة الأمة»[3].

٣- تربية أفراد مخصوصين وتنشئتهم تنشئة كاملة متكاملة، تنبثق عن الإيمان القرآني، واستيعاب المقاصد والقيم التي أرسىٰ دعائمها القرآن، لإخراج «الفرد الأمة» علىٰ شاكلة إبراهيم، يستنون بسنته، ويهتدون بهديه، يعيدون الارتباط بين القرآن والأمة، وسد الفجوة التي وقعت، لأن إرادتهم تساوي إرادة الجماعة،

---

(١) العلواني، طه جابر. «القرآن رسولخالد ورسالة عالمية ومرجع كوني للبشرية»، مجلة الكلمة، عدد ٢٢، شتاء ١٩٩٩م، ص٢٢.

(٢) العلواني، حوار مع القرآن، مرجع سابق، ص٩٣-٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٣.

فيكونون تجسيدًا للأمة والدعوة، ويحملون «أمانة الدعوة والرسالة»، ويجددون حيوية الأمة، ويعيدون تنظيم قنوات التنشئة فيها[١]، وإعداد المؤسسات الكفيلة بتحقيق ذلك كله[٢].

٤- هؤلاء الأفراد «الأمة» يؤسسون أسرًا، تكون «الأسر الأمة»، فالأسرة هي «مؤسسة أمة» و«مؤسسة دعوة»، تقوم علىٰ الإيمان والعقيدة والعمل الصالح والتنافس في الخيرات، وعليها تقوم الأسس السليمة لبناء شبكة العلاقات من النسب والصهر والسكن والمودة والرحمة التي تشكل روح الجماعة، وتبني روابط الأمة علىٰ أسس مستقيمة، تحمل معاني الاستمرار ومقومات الدوام[٣].

٥- علىٰ عاتق هؤلاء تقع مهمة جعل الأمة حقيقة نفسية وعقلية تعيش داخل كل فرد مسلم، لا يستطيع أن يحيا حياة مستقرة ما لم يرها في الواقع الاجتماعي والتاريخي كحقيقة واقعة[٤].

٦- عودة الأمة لتكون «أمة دعوة وإجابة» تشعر بمسؤوليتها عن أمم الأرض كلها التي اجتالتها الشياطين؛ لتستعيدها وتردها إلىٰ الإجابة لله وللرسول؛ لتصبح البشرية كلها «أمة إجابة»، وتصبح الدعوة دعوة إلىٰ الاستمرار في ذلك، والمحافظة عليه، وعدم الانحراف عن جادته[٥].

أولويات العمل لإعادة بناء الأمة

١- بناء الوعي العربي:

يجعل العلواني استهداف بناء وعي العربي من أهم أولويات بناء الأمة، أكثر من أي شعب إسلامي آخر، لخطورة موقعه الجغرافي ولوقوع البيت الحرام والمسجد الأقصىٰ في أرضه والمحرمات والمقدسات، بالإضافة إلىٰ الثروة ومصادر الطاقة، وعقد المواصلات العالمية التي تجعل منه ومِن موقعه هدفًا

(١) المرجع السابق، ص ٨٧-٨٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٩٤.
(٣) المرجع السابق، ص٩٨-١٠٠.
(٤) المرجع السابق، ص٧٨-٨٨.
(٥) المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

مباشرًا للعالم كله، يضاف إلىٰ ذلك انتماء «لسان القرآن» إلىٰ لغته، مما يفرض علىٰ العربي دورًا في الوعي والثقافة والمسئولية أخطر وأهم من سواه بكثير في المسئولية[١]، فالوعي المفهومي و«المفاهيمي»، الذي سيمنحه القرآنُ العربيَّ المعاصرَ هو وعي مختلف، يحمله أعباء بناء «البديل القرآني الإسلامي»[٢]، فيصبح الإنسان العربي قادرًا علىٰ فهم دوره، وقادرًا علىٰ إدراك علاقته بالله تعالىٰ في مسيرته التاريخية، وعلاقته بالقرآن باعتباره منهجه المنزل لهدايته[٣].

فإعادة تأسيس الوعي العربي ليس مراعاة لطبيعة قومية، ولا لارتباط خاص متحيز لهم، بل لأمور أخرىٰ موضوعية، متعلقة بموقع العرب ولسان القرآن العربي المبين[٤].

٢- تحرير المفاهيم الإسلامية:

فالمفاهيم هي اللبنات التي تُبنَىٰ وتؤسس عليها المنهجية[٥]. وقد استطاع الاستعمار ومشروعه الفكري تبديد مفهوم الأمة عبر المفاهيم الوافدة التي تلقتها فئة من أبناء الأمة وروجوا لها علىٰ أساس أنها المخلص لهم وأنها ضامنة لطريق التقدم والنهضة، والخروج من حالة التراجع والانحطاط الحضاري. وكانت أبرز هذه المفاهيم وأخطرها علىٰ السواء مفهومي: العلمانية، والقومية، وما تبعهما من دعوات لإخراج الدين من معادلة الأمة والدولة الجديدة، ثم إخراج مفهوم الأمة ذاته من نظرية الاجتماع الإسلامي الجديدة في ظل الاستعمار وخططه لتقسيم العالم الإسلامي، وفقًا لأبعاد جغرافية تخدم مصالحه: حالة وجوده، وحالة ارتحاله.

وكذلك مفهوما: «أهل السنة» و«الجماعة» اللذان أُستخدِمَا للتعبير عن«الفرقة الناجية» وحدها واستبعاد ما سواها من حظيرة النجاة، فتعمقت الهوة واتسعت

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٤-١١١.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٥) العلواني، طه (تقديم)، بناء المفاهيم، مرجع سابق، ص٧-١٢.

الفجوة بين الفِرق، وتمزقت وحدة الأمة، وتعرضت للانهيار عدة مرات ليس آخرها هذا الانهيار الخطير الذي نعانيه.

مما يستدعي إعادة بناء هذه المفاهيم وغيرها من المفاهيم التي تشوهت جراء العقلية غير القرآنية، عبر اتّباع منهجية القرآن المعرفية ليلتئم شمل الأمة من جديد[١].

٣- تأسيس علم فقه الواقع

يؤكد العلواني أن تأسيس علم فقه «الواقع» هو نقطة البداية الصحيحة لتناول الأفكار والتصورات والعقيدة وأركانها وأثرها في بناء الرؤية الكلية، وتأسيس الدواعي والدوافع والإرادات، وإيجاد الوعي التام بها بالنيات والعزائم الصادقة، ووسائل تقييم الفعل الإنساني ومعرفة مآلاته، وآليات التغيير وعوامل الاستمرار في الواقع والتجديد والتجدد الذاتي، وعلاقة عناصر وأركان واقعنا بعناصر وأركان واقع الآخر، فكل ذلك إدراك لشروط ودعائم العمل الفكري، وكيفيات نشر الأفكار. وبهذا الفقه نستطيع دراسة وتحليل وفهم مشكلاتنا وصياغتها بصيغة السؤال الصحيح، ثم نعرج به إلىٰ القرآن ونحاوره حتىٰ نبلغ سبيل الرشاد في أزماتنا[٢].

٤- بناء الوعي الشامل

يؤكد العلواني أن الوعي القرآني ومنهجية القرآن المعرفية، هما سبيلنا لبناء الوعي الشامل لأبناء الأمة كافة، ووعي الأمة التام بقواعد وأسباب الحركة التاريخية. فيتحقق الوعي بالأبعاد العقدية وأركان العقيدة وأصولها وعلاقاتها بأصول القوة، وقوانين الحركة التاريخية. والوعي بالعلم، والإيمان بأنه ركن لا يصلح شيء من دونه، وأن الأمة تكتسب من عناصر القوة ومصادرها بقدر ما تكتسب من العلم. والوعي بأهمية المال والدور الخطير الذي يؤديه في بناء أسباب القوة للأمم وتشييد قوتها. والوعي بخطورة كبائر تمكين أعداء الأمة من أموالها ومواردها. والوعي بأهمية الإنسان عقلًا ونفسًا وجسمًا[٣].

---

(١) العلواني، العراق، مرجع سابق، ص٦٦ -٧٣.

(٢) العلواني، مفاهيم محورية، ص٩٩-١٠٠.

(٣) العلواني، العراق، مرجع سابق، ص٨٧-٨٩.

صيغة الأمة الجديدة: التفريق بين العمل والمثل، والتوجه العملي الواقعي:

يؤكد العلواني أن الشعارات الفضفاضة لن تطبق ولن يتبناها أحد، فالحديث عن وحدة إسلامية دون توحيد الأقطار ثم الأمة العربية بشكل أمتي قرآني لن يفيد سوىٰ غرق المسلمين في بحار من النقاش والجدل، ولهذا فإن الصحيح حسب تجربة التاريخ وسنن التغيير المستمدة من المنهجية المعرفية القرآنية أن نبدأ بدايات صغيرة ومعقولة ومنطقية، في توحيد الأمة[1].

فتوحيد الأمة من جديد لن يكون توحيد دمج؛ لأن هذا النوع من التوحيد تصحبه عوامل قسرية كثيرة قد تؤثر سلبًا في الخصائص الفردية والمهام التي أوكلها الله للبشر، لكنه توحيد ائتلاف، عبر صيغة «التأليف» لا «الاندماج» بين العرب أولًا ثم المسلمين ثانيًا، لأن «التأليف» يوجد الرباط المطلوب لإقامة العلاقات، وبناء أمة من الأفراد والأسر والشعوب والقبائل بمفاهيم ورؤية ومثل وقيم تحقق -في إطار التأليف بين قلوبها- كل ما تريد تحقيقه، دون مساس بالخصائص الذاتية لكل فصيل أو قبيل أو فرد أو إلغائها.

فهذه الأمة الجديدة يفترض فيها ألا تكون مركزية، مثل الولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا، فهي ليس عندها هاجس أن تكون مركزًا يدور حوله الجميع، ويستسلم لعملته وقراراته، إنما هي «الأمة القطب»، بمعنىٰ أنها ليست مشغولة بإيجاد مركزية لنفسها، وإنما تكون مشغولة بتقديم نفسها قطبًا ونموذجًا، وهذا ينسجم مع الاتجاه القرآني ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

---

(١) عزت، محمد، حوار مع العلواني، علىٰ الرابط التالي:

http://www. mominoun. com/articles/%D8%B7%D9%87-%D8%AC%D8%A7%D8%A8%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%87-%D9%87%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-2763

(٢) المرجع السابق.

أمور هامة يجب التنبه لها حتىٰ لا نقع في أخطاء تجارب إعادة بناء الأمة السابقة:

١- الارتقاء بالممارسات السياسية علىٰ هدي المنهجية القرآنية المعرفية وثلاثية المقاصد العليا الحاكمة، لنتخلص من الثقافة السياسية المريضة، التي ساهمت في إيجاد عقلية عوام وطبيعة قطيع ونفسية عبيد لدىٰ أجيالنا[١].

٢- إبعاد الدعاة والأئمة والعسكريين والقضاة، ورجالات الدولة (ممن يتوجه إليهم الجميع في معرفة الأمور الشرعية، والمؤتمنون علىٰ القوة التي تكسب الشرعية، ومن يحكمون بين الناس في أقضيتهم، ومن يديرون الجهاز الإداري الذي يصرف أمور الناس)، عن الانتماء إلىٰ أي من الفئات الحزبية. وأن يكونوا للشعب كله وعلىٰ مسافة واحدة من جميع الفرقاء السياسيين، ولا يجوز أن ينحازوا لأي فريق مهما كان ذلك الفريق، إلا الأمة بمجموعها وبما تمثل، لأن هذه مؤسسات للأمة كلها[٢]. (لأن في هذا ضمانة كبيرة لعدم تغول السلطات التنفيذية علىٰ السلطات التشريعية وعلىٰ المجال السياسي من جانب، ومن جانب آخر إبعاد لاستغلال النصوص الدينية في الخلافات السياسية، ومن جانب ثالث ضمان عدم استخدام الجهاز الإداري للدولة في تصفية حسابات السياسيين بعضهم مع بعضٍ مما يوقع الغبن والظلم علىٰ المواطنين وخاصة ممن ينتمون للمعارضات).

---

(١) راجع في ذلك:

http://www. alhayat. com/Articles/15212410/%D9%85%D8%AD%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%B0%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%A9--%D8%B7%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC%D8%A7%D9%8B

(٢) المرجع السابق.

٣- التغيير، لا بد من أن يتم من الداخل، بعيدًا عن أي تدخل أجنبي، أو عون خارجي، والعمل السري لا يمكن أن يحدث تغييرًا حقيقيًا. لذلك، فإن الإصلاح لا بد من أن يسلك طريق تغيير ما بالنفوس وإصلاح ما بالقلوب، ولو كان الطريق الأشق والأطول[١].

٤- العنف غير مأمون العواقب، ولا بد من الاستعاضة بالأدوات السلمية المشروعة في عملية التغيير[٢].

٥- القوة العسكرية لا تصلح لأن تكون أداة التغيير. كما أنه من الخطأ الاعتقاد بأن التغيير الحقيقي يقوم علىٰ تغيير الاقتصاد والتنمية، علىٰ رغم أهميتهما، فالعمل التغييري لا بد من أن يبدأ من الإنسان ومؤسساته[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق.

خاتمة

عاش العلواني لحظة أزمة إسلامية عالمية مركبة شاملة، تتطلب التفكير العميق في التحول الحاصل من جرائها. وحاول البحث عن أسباب هذه الأزمة ومنهج الخروج منها، فابتدأ من أصول الفقه، مرورًا بالعلوم الاجتماعية الغربية وأسلمتها، لينتهي إلىٰ ضرورة، بل حتمية، عودة المسلمين والناس جميعًا إلىٰ قرآنهم بعد هجرانه. ومؤكدًا أن القرآن المجيد يمتلك منهجية معرفية، لا تختص بحقل معرفي ديني أو إنساني محدد، لكنه منهج معرفي يهيىء الإنسان لحالة عقلية ونفسية تطلق طاقاته كلها، للقيام بركن القراءة في الكون، لتحقيق غاية الحق من الخلق: في «العمران» ولتتحقق «التزكية» الفردية والجماعية لأبناء آدم.

وأن شرط التحول والانتقال من العمران المادي السائد اليوم إلىٰ العمران الحضاري القرآني، إنما هو في اكتشاف واتباع المنهجية المعرفية القرآنية القائمة علىٰ المقاصد القرآنية العليا المتمثلة في: التوحيد والتزكية والعمران. التي تبني أمة الدعوة الحاملة لمشروع العمران المحقق للحياة الطيبة لأبناء آدم. فالعمران الحضاري عند العلواني مفهوم قرآني يرتبط لزومًا برؤية ونمط حياة المجموعة البشرية ونمط حركتها علىٰ الأرض.

وتستمد المساهمة العلوانية قيمتها البالغة اليوم من واقع قدرتها علىٰ المساهمة في تحليل أزمة أمتنا المسلمة من جهة، والأزمة العالمية المعاصرة التي تتمثل أكثر ما تتمثل في طغيان وسيادة عالم الأشياء، وارتباط خلاص الإنسان بمفهوم الرفاه المادي من جهة أخرىٰ، بالإضافة إلىٰ رؤيته الدقيقة لهما، وتمييزه المحدد للعلاقة الحساسة بين العمران والحضارة.

نتائج الدراسة:

استطاع العلواني -كما حاولت الدراسة أن تبين- أن يقدم تصورًا قرآنيًا معرفيًا للعمران الحضاري، يسمح بإمكانية إعادة بناء الأمة من جديد في هذا العصر. فنظرته للإسلام كدين يؤكد علىٰ الحياة والعمران والتزكية المنطلقة من التوحيد، وأن فهم أزمة حضارتنا يعني تجديد الأدوات والمصطلحات والتعابير، والمنهجية الفكرية الشائعة في تراثنا ولدىٰ الحضارة المهيمنة علىٰ عالمنا، وأن نكسر قيود التقليد وتقديم عطائنا المبدع دون خوف، قيامًا بأمانة الاستخلاف والعمران.

كما أن هذه الرؤية تقدم فرصة للمسلمين للوقوف مرة أخرىٰ علىٰ أقدامهم كصناع وبناة عمران حلمنا به طويلًا، ينطلق من مقاصد القرآن العليا.

توصيات الدراسة:

يثير مشروع العلواني القرآني لإعادة بناء الأمة العديدَ من الأسئلة التي تحتاج إلىٰ دراسات مفصلة، لعل من أهمها ما يتعلق بتفصيل رؤيته للتوحيد والتزكية والعمران خاصة بعدي التزكية والعمران، وكيفية تشغيل منظومة القيم القرآنية العليا من خلال المجتهد الفرد، أو عبر الاجتهاد الجماعي، وكيفية الجمع بين علماء الاجتماعيات والطبيعيات لبناء منهجيتها المعرفية. وكذلك، توضيح مفهوم المنهجية المعرفية القرآنية ومحدداتها بشكل دقيق لا يحدث لبسًا لدىٰ مستقبليه ولا مستعمليه.

وكيف يمكن إحداث التصديق والهيمنة لهذه المنهجية المعرفية علىٰ تراثنا كله، بل وتراث الإنسانية وإعادة ربطه بالقرآن المجيد؟ وكيف يمكن أن نتغلب علىٰ الصدمات الناتجة عن هذا المشروع؟ وما يمكن أن تقدمه نتائجه علىٰ تراثنا -وعلوم القرآن والسنة خاصة-، من الجديد الصادم، لما ألفه المسلمون عبر أجيال عديدة وظنوا أنه من ثوابت الدين.

وكيف يمكن معالجة قضية السقف المعرفي واختلافه من عصر إلىٰ عصر، وتأثيره علىٰ طبيعة وثبات هذه المنهجية؟ وما الضمانة لعدم التضارب من عصر لآخر في النتائج الناتجة عن منهجية القرآن المعرفية، بسبب اختلاف السقف

المعرفي وتطور مناهج الفكر الإنساني والعقلية الإنسانية؟ وكيف نحقق الاتفاق علىٰ المراحل الزمنية للمراجعات المطلوبة لتاريخنا بين فصائل الأمة من سنة وشيعة وخلافه؟

وكيف يمكن أن نقنع المسلمين والعالمين ونحن في موقعنا المستهلك الحالي من العلم لا الشريك الفاعل، بأننا نستطيع بالتوحيد والرؤية الكلية الإسلامية و(منهجية القرآن المعرفية) أن نعالج أزمة العلم، وأزمة المنهج، وننقي الفلسفة، وإعادة توظيف العلوم ضمن ناظم منهجي ومعرفي توحيدي ديني؟

إن مشروع العلواني لبناء العمران القرآني الذي تحفزه دوافع إيمانية، والقائم علىٰ استرداد العافية والثقة للإنسان المسلم في هويته القرآنية وقدرته علىٰ الفعل، لا التقليد والكسل المعرفي، والمبني علىٰ التعقل والإيمان والعمل المزكىٰ العمراني، هو مشروع واعد لإعادة بناء الأمة، لا يزال يدرج في طفولته، ولم يتخطَ بعدُ دور التجريب، وهو يحتاج من الأمة وعلمائها إلىٰ جهود كبيرة لجعله حقيقة تنبىٰء بعالمية جديدة، تحقق عمرانًا مشوبًا بالقيم يحقق الحياة الطيبة لأمتنا وللناس أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولًا: المصادر

١- العلواني، طه جابر. نحو منهجية معرفية قرآنية، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٤م.

٢- العلواني، طه جابر. مقدمة في إسلامية المعرفة، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠١م.

٣- العلواني، طه جابر. مقاصد الشريعة، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠١م.

٤- العلواني، طه جابر. التوحيد والتزكية والعمران، بيروت، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٣م.

٥- العلواني، طه جابر. أفلا يتدبرون القرآن، القاهرة، دار السلام، ط١، ٢٠١٠م.

٦- العلواني، طه جابر. نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، القاهرة، دار السلام، ط١، ٢٠١٠م.

٧- العلواني، طه جابر. تفسير سورة الأنعام، القاهرة، دار السلام، ط١، ٢٠١٢م.

٨- العلواني، طه جابر. إشكالية التعامل مع السنة النبوية، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٤م.

٩- العلواني، طه جابر. الحاكمية والهيمنة: نحو إعادة بناء مفهوم الأمة والدولة والدعوة، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٦م.
١٠- العلواني، طه جابر. نحو موقف قرآني من النسخ، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٧م.
١١- العلواني، طه جابر. الوحدة البنائية للقرآن المجيد، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٢- العلواني، طه جابر. نحو التجديد والاجتهاد، القاهرة، دار تنوير للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م، جزءان.
١٣- العلواني، طه جابر. أزمة الإنسانية ودور القرآن الكريم في الخلاص منها، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٨م.
١٤- العلواني، طه جابر. في كتاب الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٦م.
١٥- العلواني، طه جابر. لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلىٰ اليوم، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٢، ٢٠٠٦م.
١٦- العلواني، طه جابر. لسان القرآن ومستقبل الأمة القطب، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٦م.
١٧- العلواني، طه جابر، منىٰ أبو الفضل. نحو إعادة بناء علوم الأمة، القاهرة، دار السلام، ط١، ٢٠٠٩م.
١٨- العلواني، طه جابر. حوار مع القرآن، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٤م.
١٩- العلواني، طه جابر. العراق الحديث، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٠- العلواني، طه جابر. التوحيد، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٠م.
٢١- العلواني، طه جابر.إصلاح الفكر الإسلامي، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٥.
٢٢-العلواني، طه جابر. الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

ثانيًا: المراجع

١- الحسني، إسماعيل. مقاصد الشريعة والاجتهاد في المغرب الحديث، الرباط: الرابطة المحمدية للأبحاث، ٢٠١٠.

٢- الرفاعي، عبد الجبار (حوار). مناهج التجديد، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٠م.

٣- الريسوني، أحمد. مقاصد المقاصد، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث، ط١، ٢٠١٣م.

٤- العلواني، زينب. تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، بيروت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٢م.

٥- العوا، محمد سليم (تحرير). مقاصد الشريعة الإسلامية، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦.

٦- الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣ م.

٧- النعيم، عبد الله محمد الأمين. الحضارة الإسلامية، الخرطوم: معهد إسلام المعرفة، ط١، ٢٠٠٧م.

٨- باترسون، توماس. الحضارة الغربية-الفكرة والتاريخ، ترجمة شوقي جلال، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٠٤م.

٩- توينبي، أرنولد. قصة الحضارة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، المجلد الأول.

١٠- جمعة، علي (إشراف). بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٨.

١١- حاج حمد، محمد أبو القاسم. منهجية القرآن المعرفية، بيروت: دار الهادي، ط١، ٢٠٠٣م.

١٢- رؤوف، هبة. نحو عمران جديد، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٥، ص٧٠.

١٣- عارف، نصر. الحضارة-الثقافة-المدنية، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤، ط١.

١٤- فرجسون، نيال. الحضارة، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٢، ٢٠١٤، ص٤٥.

١٥- فؤاد، أحمد، وآخرون. المنهجية الإسلامية، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٠م.

١٦- مازليش، بروس. الحضارة ومضامينها، ترجمة عبد النور خراقي، الكويت: المجلس الوطني للفنون والآداب (عالم المعرفة، عدد ٤١٢، مايو ٢٠١٤).

١٧- ملكاوي، فتحي. منظومة القيم: التوحيد والتزكية والعمران، عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠١٣م.

دوريات:

١- الحباشنة، صابر. «الدين والحضارة بين الإسلام والغرب»، مجلة التسامح، عدد ١٧ شتاء ٢٠٠٧م.

٢- السيد، رضوان. «المدنية والحضارة في أفكار الإسلاميين المحدثين والمعاصرين»، مجلة التسامح، عدد٢٦ (ربيع١٤٣٠هـ).

٣- العلواني، طه جابر. «القرآن رسولخالد ورسالة عالمية ومرجع كوني للبشرية»، مجلة الكلمة، عدد ٢٢، شتاء ١٩٩٩م.